Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

The Universal Reformer in the Psychology of the Masses: Between Need and Belief

Ali Al-Asadi
Assistant Professor, Department of Jurisprudence and Islamic Knowledge, Al-Mustafa International University, Iraq
E-mail: ALIALASADI1966@gmail.com

Abstract

The concept of the Universal Reformer is a divine paradigm and a celestial figure intended to be realized within human society. Its significance lies in examining the human ideologies that call for his emergence in this world. He is the long-awaited hope who will deliver humanity from the prevailing injustice and corruption that afflict the earth. Hence, his importance stems from his ultimate objective: to "fill the earth with equity and justice." The final divine legislation (the Islamic Shariah) has given particular attention to the notion of the Universal Reformer (the Promised Mahdi), more so than other religious traditions. This is because the belief in him is integral to its very foundations and is a prominent element in ensuring its continuity. It represents both the future of true religion and a universal human aspiration. Thus, the Universal Reformer stands at the intersection of two key appeals: first, as a humanitarian ideal that all of humanity seeks to realize; and second, as a religious doctrine firmly rooted in divine revelations and foundational to their perpetuation. From both humanistic and religious perspectives, the Universal Reformer holds paramount importance, as he embodies the envisioned future of humanity, one grounded in justice and fairness. This raises the central question of the present article: Is the Universal Reformer a human necessity, longed for by the hearts of people, or is he a religious belief that requires faithful adherence? In this article, we seek to answer this vital question by employing a descriptive and analytical methodology, drawing upon verses, narrations, and scholarly opinions. We ultimately conclude that the Universal Reformer reconciles both dimensions: he is at once a humanitarian necessity embraced by all peoples, and a religious belief affirmed by all divine messages.

Keywords: Universal Reformer, the Awaited Mahdi, psychology of the masses, collective consciousness, religious belief.

Al-Daleel, 2025, Vol. 7, No. 4, PP .117-150

Received: 15/03/2025; Accepted: 12/04/2025

Publisher: Al-Daleel Institution for Studies and Research

©the author(s)

الدليل Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

المصلح العالمي في سيكولوجيا الجماهير بين الحاجة والاعتقاد

علي الأسدي
أستاذ مساعد في قسم الفقه والمعارف الإسلامية، جامعة المصطفى العالمية، العراق.
البريد الإلكتروني: ALIALASADI1966@gmail.com

الخلاصة

المصلح العالمي منهج إلهي وشخصية سماوية أريد تحقيقها على الواقع البشري، فأهمّيتها تكمن من خلال تتبّع المناهج البشرية التي تناشد بظهوره في هذه المعمورة، فهو الأمل المنشود الذي يخلّص الناس من واقع الظلم والفساد الحاصل في عموم الأرض؛ ولهذا تكمن أهمّيته انطلاقًا من أهدافه في أنّه "يملأ الأرض قسطًا وعدلًا". وقد أظهرت الشريعة الخاتمة قضيّة المصلح العالمي (المهديّ الموعود) واهتمّت بها أكثر من باقي الشرائع الأخرى؛ لأنّها من صميم مقوّماتها وعنوان بارز في استمرارها، فهي تمثّل مستقبل الدين الحنيف، وتمثّل أيضًا مناشدةً إنسانيةً؛ ولذا فالمصلح العالمي دائر بين مناشدتين: الأولى: أنّه يعدّ هدفًا إنسانيًّا تسعى كلّ البشرية لتحقيقه، والثانية أنّه عقيدة دينية أصّلته الرسالات السماوية في ضمن منهجها وأثبتته في مقوّمات استمرارها. فالمصلح العالمي يشكّل أهمّيةً قصوى في المنظور البشري والديني؛ لأنّه يمثّل المستقبل المتكامل للبشرية القائم على مبدإ العدل والإنصاف؛ ولهذا يطرح السؤال الرئيسي في هذه المقالة: هل المصلح العالمي حاجة إنسانية تهفو نفوس الناس إليها، أم هو اعتقاد ديني يلزم الإيمان به؟ وقد حاولنا الإجابة في هذه المقالة عن هذا السؤال المهمّ من خلال تتبّع المنهج التوصيفي والتحليلي لقضيّة المصلح بتوسّط الآيات والروايات والأقوال؛ لنصل إلى نتيجة مفادها أنّ المصلح العالمي هو جامع بين الموردين، فهو حاجة إنسانية تدعو إليه كلّ البشرية وكذلك هو اعتقاد ديني جاءت كلّ الرسالات السماوية لتأكيده.

الكلمات المفتاحية: المصلح العالمي، المهديّ المنتظر، سيكولوجيا الجماهير، العقل الجمعي، الاعتقاد الديني.

مجلّة الدليل، 2025، السنة السابعة، العدد الرابع، ص. 117 ـ 150
استلام: 2025/03/15، القبول: 2025/04/12
الناشر: مؤسّسة الدليل للدراسات والبحوث
© المؤلّف
CC BY NC

المقدّمة

يمثّل الإصلاح العنوان الأبرز الذي يسعى لتحقيقه كلّ إنسان يعيش على هذه البسيطة وعلى وفق منهجيته التي أسّسها والمعايير التي وضعها لتكون منطلقًا رئيسيًّا نحو بنائه التكاملي في مسيرته الحياتية؛ لينعم في هذا العالم ـ بحسبه ـ بالخير والسعادة، فالبشرية اليوم بحاجة إلى حركة إصلاحية واقعية تكون قادرةً على إحداث تغيير اجتماعي وفكري واسع، سواء على المستوى الفردي أو الأممي، يمثّل الاستراتيجية الحقيقية في خلق وعي جديد لدى أبناء المجتمع الذي يسعى من دون كدّ ولا ملل على العمل لإقامة حياة عادلة لا تخضع للنظرة النفعية أو السعي وراء المصالح الضيّقة للفرد أو الجماعة، وإنّما العمل على تحقيق تجمع بشري كبير قائم على ما هو حقّ وعدل، والناس تعلم أنّ هذا لا يمكن أن يحصل إلّا من خلال مصلح عالمي يقوم على وفق المنهج السماوي الذي له القدرة على معرفة جميع الظروف المحيطة بالإنسان والقادر على تحريكه في ضمن عقل جمعي مصلح يتبنّى الأسس الكفيلة بتحقّق ما يصبو إليه الإنسان من العيش الكريم والحرّ، يستشعر من خلالها الإنسان بإنسانيته وتنعدم فيها كلّ صيغ التفرقة والاستغلال ونبذ كلّ أنواع الظلم والاستبداد، فالأمم اليوم تعيش أسوأ مراحل حياتها بسبب تسلّط القويّ على الضعيف، وهيمنة أصحاب التطور التقني واستخدامه في إذلال الأمم والشعوب، بل إنّ هذا التطوّر بدل أن يستخدم لجلب النفع والتقدّم لبني البشر، أصبح اليوم وبالًا عليهم في استخدامه للقضاء على المجتمعات وتفتيتها، وفناء الناس على وفق منهجية "المليار الذهبي للعالم"، فكلّ هذه المشاكل تدفع البشرية وبقوّة للدعوة إلى تحقيق الإصلاح العالمي، فإنّ النفوس تتوق للإصلاح ومنهجية العدل. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الإصلاح منهج سماوي دعت إليه كلّ الرسالات الإلهية التي جاءت من السماء، فلا بدّ من أن يشكّل عقيدةً للإيمان، وعلى هذا فهنالك عدّة أسئلة تطرح، وهي هل يمكن إقامة دولة الحقّ والعدل العالمية أم لا يمكن ذلك؟ كيف يمكن أن تتقبّل النفوس البشرية المصلح العالمي؟ وهل الناس بحاجة إلى مصلح لخلاصهم ممّا هم فيه، أم هو عقيدة دينية يتكامل إيمان المرء من خلال الإيمان بها؟ فكلّ هذه الأسئلة سنجيب عليها من خلال مقالتنا الموسومة بـ" المصلح العالمي وسيكولوجيا الجماهير بين الحاجة والاعتقاد".

المبحث الأوّل: مطالب تمهيدية

أوّلًا: مصطلحات البحث

1ـ المصلح العالمي اصطلاحًا

عُـرّف المصلـح العالـمي بأنّه:«مصلـح سـماوي إلـهي ملكـوتي لإصـلاح مـا فسـد مـن العالـم، وإزاحـة مـا يـرى مـن الظلـم والفسـاد، وإنـارة مـا غشـيته مـن الظلـم» [المرعـشي النجفـي، شرح إحقـاق الحـقّ، ج 13، ص 4]. ونقـل عـن المفكّـر الإيرلنـدي برناردشـو (George Bernard Shaw) وصفـه المصلـح في كتابـه "الإنسـان السـوبرمان" بأنّـه: «إنسـان حيٌّ ذو بنيـة جسـدية صحيحـة وطاقـة عقليـة خارقـة، إنسـان أعلى يـترقّى إليـه هـذا الإنسـان الأدنى بعـد جهـد طويـل، وأنّـه يطـول عمـره حـتّى ينيـف على ثلاثمئـة سـنة، ويسـتطيع أن ينتفـع بمـا اسـتجمعه مـن أطـوار العصـور ومـا اسـتجمعه مـن أطـوار حياتـه الطويلـة» [آل ياسـين، المهـديّ المنتظـر بـين التصـوّر والتصديـق، ص 57 و58].

2ـ السيكولوجيا لغةً واصطلاحًا

أـ السيكولوجيا لغةً

تعـدّ السـيكولوجيا مـن المصطلحـات الحديثـة الـتي لـم تذكرهـا المعاجـم اللغويـة القديمـة؛ إذ إنّ هـذا اللفـظ قـد وضـع لأوّل مـرّة في القـرن السـادس عـشر، إلّا أنّ شـيوعه كان في القـرن الثامـن عشر، وقـد انتـشر بعـد ذلـك في جميـع اللغـات الأوربّيـة وغيرهـا. [لوبـون، سـيكولوجية الجماهـير، ص 41، الهامـش 1]

إلّا أنّ بعض المفكّرين الغربيين قد عبّر عنها بأنّها "علم النفس". [المصدر السابق، ص 35]

«وفي الحقيقـة أنّ (Psychology) مصـدر مـن كلمتـين يونانيتـين (Psyce) بمعـنى الـروح، و (Logos) بمعـنى علـم، السـيكولوجي (Psychology) هـو علـم الـروح أو دراسـة الذات كما تكشـف عـن نفسـها في الأداء والعمـل». [Minderop, Psikologi Sastra, Hal:3]

وعليـه فالسـيكولوجيا إذن هي علـم النفـس أو علـم الـروح سـواء على نحـو الوحـدة بينهمـا أو الافـتراق.

بـ سيكولوجيا الجماهير اصطلاحًا

يمكـن القـول إنّ سـيكولوجيا الجماهـير في معناهـا الاصطـلاحي لا تختلـف عمّـا هـو في المعـنى اللغـوي، فـهي تمثّـل دراسـة سـلوك البـشر وتفكيرهـم، كمـا تُعـنى بدراسـة عمليـات الإدراك

الحسّي، والتعلّم، والانفعالات والدوافع، وتدرس أيضًا تكوين الشخصية والسلوك غير الطبيعي عند الإنسان، فيمكن القول إنّه يعني علم النفس الجماعي أو الاجتماعي، أو قد يوصف بنفسية الشعوب أو روح الجماهير التي هي الروح المكوّنة من الانفعالات البدائية ومكرّسة بواسطة العقائد الإيمانية. [انظر: لوبون، سيكولوجية الجماهير، ص 4 - 18]

ثانيًا: المصلح العالمي بين الحقيقة والخيال

تمثّل فكرة المصلح العالمي أطروحة تسعى كلّ جماعة من الناس إلى أن تتبنّى موقفًا منها، سواء كان على نحو القبول أو الرفض، وكلّ طرف يقيم الحجّة على ما يتبنّاه ويسعى لتثبيت الأيديولوجيا التي توافق منهجه في هذه القضيّة؛ ولذا يقرّ الطرف الأوّل بأنّ المصلح العالمي حقيقة واقعة، وستتجسّد في المسيرة البشرية في عالم الدنيا، بينما يتمسّك الطرف الآخر بأنّ قضيّة المصلح ما هي إلّا من نسج الخيال الإنساني، فهي خيال لا واقع له ولا حقيقة تجسّده. ولكن لو دقّقنا النظر في هذه القضيّة، فإنّه يمكننا القول إنّ فكرته تكاد تكون من أوضح الواضحات في المجتمعات البشرية، بل لا يكاد شعب من الشعوب أو أُمّة من الأمم تخلو منها؛ لأنّ «فكرة ظهور المصلح في آخر الزمان من الأصول الأساسية منذ العصور القديمة، وكانوا يذكرونها بشكل دائم، ونحن اليوم وبعد مرور عدّة قرون نجد ما يدلّ على ذلك من خلال الآثار التي تركها الماضون» [الطبسي، الإمام المهديّ المصلح العالمي، ص 14]. وعلى كلّ حال فكون هذه الفكرة متجذّرةً في المجتمعات البشرية، وأنّها حقيقة واقعة في مسيرتهم يعتمد على أمرين:

1ـ حاجة المجتمعات البشرية إلى الإصلاح، وهذا أمر مسلّم به؛ لأنّ البشرية تعيش منذ وجودها على هذه الأرض الكثير من المشاكل والابتلاءات حتّى ظهرت للعيان ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**﴾ [سورة الروم: 41]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فليس هنالك ما يلبّي طموحاتها؛ لأنّ «الأزمة الإنسانية المعاصرة على درجة من العمق والشمول بحيث إنّ كلّ محاولة لتحليلها ـ ناهيك عن حلّها ـ تبدو عصيّة على قدرة العقل والتصوّر الإنساني، وها هي المعركة من أجل البقاء ... حيث تترك محنة الإنسان بصماتها على مستقبل أمم بأسرها يتهدّدها العدوان الخارجي والتمزيق الداخلي وتسيطر هذه المحنة على شبكة العلاقات الدولية الضخمة التي تقوم على بنيان هشّ، والميزان فيها الرعب والخطر» [انظر: كاميلري، أزمة الحضارة.. آفاق إنسانية في عالم متغيّر، ص 619]. فالإنسان في هذا العالم واقع بين أمرين أحدهما أكثر خطورةً من الآخر: الأمر الأوّل: كثرة المشاكل والابتلاءات التي تصبّ على الإنسان بسبب المناهج الوضعية لإدارة المسيرة البشرية في هذا العالم؛ إذ لا يمكنه الخروج منها.

والأمـر الثـاني: عجـز المناهـج البشريـة في إيجـاد الحلـول والوقـوف على سـبل الخـلاص منهـا مـن جهـة أخـرى؛ لذا احتاجـت الجمـوع الإنسـانية إلى منهـج إصـلاحي لـم يمـتّ إلى البشريـة بصلـة ويكـون قـادرًا على إقامـة الأَمَـت والاعوجـاج الحاصـل في مسـيرة الأفـراد والمجتمعـات؛ ولهـذا لا يمكـن القـول أنّ الإصـلاح مجـرّد دعـوى، بـل هـو حقيقـة واقعـة.

2ـ تحديـد الهـدف مـن وجـود المصلـح الذي يقـوم بإيجـاد الحلـول الواقعيـة لجميـع المشـاكل الحاصلـة في المجتمعـات البشريـة، وقـد وصفـه برناردشـو بأنّـه «ذو بنيـة جسـدية صحيحـة وطاقـة عقليـة خارقـة» [آل ياسـين، المهـديّ المنتظـر بـين التصـوّر والتصديـق، ص 57 و58]. ولا يمكـن حصـول ذلـك بالقـدرات العقليـة البشريـة البسـيطة المعروفـة، بـل لا بـدّ أن يكـون امتـداده إلى السـماء ويرتبـط بالمـدد الإلـهي ليمكنـه تحقيـق مجموعـة مـن الأهـداف منهـا: تحقيـق حلـم الأنبيـاء وهـدم أسـوار الانحـراف والعبـور بالبشريـة مخاطـر الضيـاع الأخـلاقي وإعادة بنـاء القـوى المعنويـة؛ «إذ دلّ الواقـع المعـاصر أنّ انهيـار القـوى المعنويـة للأمـم وانحـلال الشـعوب مـلازم لانهيـار أخلاقهـا ومتناسـب معـه، فبـين القـوى المعنويـة والأخلاقيـة تناسـب طـردي دائمًـا صاعديـن وهابطـين، ذلـك مـا دلّـت عليـه التجربـة الإنسـانية والأحـداث التاريخيـة» [الميـداني، الأخلاق الإسـلامية وأسسـها، ج 1، ص 33]. ولهـذا فـإنّ تحقيـق هـذا الهـدف يسـتلزم وجـود شـخصية قـادرة على ذلـك، وتتّصـل بالمـدد الغيـبي الذي يسـهّل تحقيـق الهـدف، ومنهـا: أنّ العالـم اليـوم بحاجـة إلى فكـر نهضـوي قائـم على مبـادئ السـماء لينهـض ببنـاء وحـدة فكريـة وعقديـة قائمـة على الأسـس الصحيحـة للتكامـل في توجيـه البشريـة. ومنهـا: الحاجـة إلى قيـام حكومـة عالميـة موحّـدة عادلـة تبسـط الأمـن وتنـهي الـنزاعات بـين الأمـم، وهـذا لا يحصـل إلّا مـع وجـود حاكـم عادل يقـود العالـم كلّـه ويكـون تحـت سـيطرته، فقد وصـف ذلـك المفكّـر البريطـاني بيرتراند راسـل (Bertrand Russell) بقـوله: «إنّ العالـم في انتظـار مصلـح يُوحّـده تحـت لـواء واحـد وشـعار واحـد» [الشهرسـتاني، المهـديّ الموعـود ودفـع الشـبهات عنـه، ص 6]. وهـذه الدولـة الـتي وصفهـا الفيلسـوف الألمـاني هيجـل (Higel) بقـوله: «الدولـة العالميـة المنسـجمة الـتي تنعـدم فيها التناقضـات الأيديولوجيـة وتطبيـق حقـوق الإنسـان كأسـمى صورة للدولـة العالمية الإنسـانية» [المحنّـة، العولمـة والجـدل الدائـر حولهـا، ص 7 – 9]. وهنالـك أهـداف أخـرى سـواء على مسـتوى الجانـب الاقتصـادي وتوزيـع ثـروات الأرض بالعـدل أو على مسـتوى بنـاء الأسرة الـتي فكّكتهـا الحضـارة الحديثـة والتطـوّر المنفلـت وغيرهـا مـن الأهـداف الـتي هي مـن صلـب المنهـج الإصـلاحي للبشريـة.

المبحث الثاني: حقيقة المصلح في الأديان والمذاهب

إنّ الاعتقاد بحتمية ظهور المصلح العالمي في هذه الأرض ليس «تجسيدًا لعقيدة إسلامية ذات طابع ديني فحسب، بل هو عنوان لطموح اتّجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغة لإلهام فطري أدرك الناس من خلاله ـ على تنوّع عقائدهم ووسائلهم إلى الغيب ـ أنّ للإنسانية يومًا موعودًا على الأرض تحقّق فيه رسالات السماء مغزاها الكبير وهدفها النهائي، وتجد فيه المسيرة المكدودة للإنسان على مرّ التاريخ استقرارها وطمأنينتها بعد عناء طويل، بل لم يقتصر هذا الشعور في مستواه الغيبي والمستقبل المنتظر على المؤمنين دينيًّا بالغيب، إنّما امتدّ إلى غيرهم أيضًا، وانعكس حتّى على أشدّ الأيدلوجيات والاتّجاهات رفضًا للغيب والغيبيات، كالمادّية الجدلية التي فسّرت التاريخ على أساس التناقضات، وآمنت بيوم موعود تصفّى فيه كلّ التناقضات، ويسود فيه الوئام والسلام» [الصدر، بحث حول المهديّ، ص 7]. أمّا الأديان السماوية فهي الأخرى قد اتّفقت كلمتهم «إلّا من شذّ وندر على مجيء مصلح سماوي إلهي ملكوتي، لإصلاح ما فسد من العالم، وإزاحة ما يُرى من الظلم والفساد فيه، وإنارة ما غشيه من الظلم، غاية الأمر أنّه اختلفت كلمتهم في المصداق، وإن اختلفت الأديان، بل الفرق والمذاهب المتشعّبة عنها في تحديد هوية المصلح العالمي، بالرغم من اتّفاقهم على حتمية ظهوره، وعلى غيبته قبل عودته الظاهرة» [المرعشي النجفي، شرح إحقاق الحقّ، ج 13، ص 4]. فوجود المصلح والمنقذ العالمي عند عموم المجتمعات البشرية متّفق عليه، غاية الأمر أنّ كلّ أمّة تدّعي أنّه منهم؛ لذا فالمصلح هو حقيقة فطرية مرتكزة في أعماق العقل البشري ويشعر بها الضمير الإنساني، ويعتقد بها الإنسان الذي يعيش مرارة الألم والعذاب؛ لأنّ أصل العالم قائم على مبدإ العدل والتوازن لا على الفوضى العارمة والظلم المستشري، وإلّا فإنّ دعوى العدالة الإلهية تصبح لغوًا وعبثًا، وهذا ما سيظهر لك من خلال بحث حقيقة المصلح في الأديان الوضعية والسماوية:

1ـ حقيقة المصلح في الديانة الزرادشتية وبعض الديانات الأرضية

إنّ فكرة وجود المصلح الذي سيغيّر وجه الأرض ويبني مستقبل الأجيال هي أقدم فكرة وُجدت على الأرض مع وجود الإنسان، فجميع الشعوب والحضارات كانت وما تزال تؤمن بوجود مصلح عالمي، يظهر في هذه الأرض يوحّد البشرية جمعاء تحت لوائه وحكومته، فيزيل الحواجز والمعوّقات ويوحّد الشعوب ويزيل كلّ أنواع الظلم والاستعباد، وهذه الفكرة لا يختصّ بها شعب دون شعب آخر، ولا دين دون آخر، فالأديان الأرضية كلّها تدعو إلى وجود

مخلّص ومنقذ للبشرية، فقد «آمنت الزرادشتية بمجيء ثلاثة منقذين مخلّصين على رأس كلّ ألفية من الألفيات الثلاث الأخيرة، بمعدّل منقذ واحد في نهاية كلّ ألف سنة، وآخر منقذ هو المسيّا الموعود والذي سيولد من عذراء طاهرة» [سعيد، أديان العالم، ص 156]. وذُكر في كتاب "زند" أنّه: «ستعود الدنيا آخر الأمر إلى رجل يحبّ الله ومن خاصّة عباده» [مكارم الشيرازي، الحكومة العالمية للإمام المهديّ، ص 53]. وقيل أيضًا «إنّ الزرادشت ... بعد وفاته بثلاثة آلاف سنة سيظهر في هذه الدنيا أحد أبناء زرادشت ... وسيكون هذا الابن هو المخلّص الذي يخلّص البشرية» [سليمان مظهر، قصّة الديانات، ص 315]. وفي كتب الهند والبراهمة من الاعتقاد بوجود المصلح، فقد ذُكر في أحد الكتب الهندية المسمّى بـ"ديده" أنّه «سيظهر آخر الزمان بعد خراب الدنيا ملك هو إمام الخلق، واسمه منصور يستولي على جميع العالم ويلحقه بدينه» [المصدر السابق، ص 54]. وأمّا البراهمة فقد ورد في كتابهم المقدّس المسمّى بـ"دداتك" ما نصّه: «سيظهر رجل الحقّ ويسيطر على مشرق العالم ومغربه ويهدي جميع الخلائق» [المصدر السابق]. بينما تتحدّث الديانة البوذية أنّه «لا بدّ أن يعود هذا المنقذ أو أحد تجلّياته في نهاية الزمان ليكمل عملية الإنقاذ التي بدأها أوّل مرّة وليحرّر النفوس والأبدان» [قيدارة، النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ، ص 57]. وفي الحضارة الفرعونية القديمة فقد «أكّد المصريون القدماء على وجود المصلح وآمنوا بظهوره وهذا ما أكّدته المصادر الفرعونية التي أوّلت بوادر العقيدة المسيانية والتي تقوم على الإيمان بظهور شخصية قدسية تعيد السلام إلى الأرض وتنشر العدالة بعد أن انتشر الجور والفساد» [فؤاد محمد شبل، دور مصر في تكوين الحضارة، ص 20]. ولا يختلف الفكر العراقي القديم في مسألة وجود المصلح ففكرة المنقذ (المخلّص) عند البابليين مرتبطة بـ «بعودة "مردوخ" إله بابل مرّةً أخرى لينشر الخير وتطهير الأرض من الفساد» [طه باقر، مقدّمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص 257 و258]. وبذلك يظهر أنّ الديانات الوضعية القديمة كانت تؤمن بظهور المصلح في الأرض آخر الزمان وهو أفضل أفراد مجتمعاتها.

2ـ حقيقة المصلح في الأديان السماوية

اهتمّت الديانات السماوية بفكرة وجود المصلح والمنقذ للبشرية بشكل ملفت للنظر؛ إذ لم تغفل عن بيان حقيقة وجوده، وأنّ الاعتقاد به ليس أمرًا مستغربًا عندها، وقد اتّفقت كلمتها على أنّه مصلح سماوي، وهذه فكرة متأصّلة بين جميع هذه الأديان، وهنالك نصوص سماوية تصرّح بوجوده وإن اختلفت في حقيقته ومصداقه، وهذا ما سيتبيّن لك من خلال التعرّض لحقيقة المصلح في الأديان الثلاثة:

أ ـ حقيقة المصلح عند اليهود والنصارى

إنّ التبشير بحتمية ظهور المصلح العالمي في المجتمعات اليهودية والنصرانية تشكّل دافعًا لاتّباعها؛ للتحرّك نحو تحقيق الأهداف التي جاء بها الأنبياء في رسالاتهم، ومن الواضح أنّ الإيمان بهذا الاعتقاد مستند إلى جذور عميقة في التراث الديني اليهودي والنصراني، فقد وضع علماء اليهود والنصارى في كتبهم وأسفارهم قديمًا ما يؤكّد يقينًا وجود المخلّص الموعود، وأنّ وجوده حقٌّ؛ ولهذا يعتقد بعضهم بعودة عزير أو [فينحاس] منحاس بن ألعازر بن هارون وأنّه هو المصلح والمنقذ، بينما يعتقد المستشرق جولد تسهير (Ignác Goldziher): «أنّ اليهود يرون أنّ النبيّ إيليّا قد رفع إلى السماء، وأنّه لا بدّ أن يعود إلى الأرض في آخر الزمان لإقامة دعائم الحقّ والعدل» [غالب، الإمامة وقائم القيامة، ص 272]. وأمّا النصارى فإيمانهم بفكرة المصلح العالمي قد ذكرته الأناجيل في بشاراتها، وقد صرّح علماؤهم بحتمية عودة عيسى بن مريم في آخر الزمان ليقود البشرية في ثورة عالمية كبرى يعمّ بعدها الأمن والسلام كلّ الأرض، يقول سكوفيلد (Cyrus Scofield) في رسالته: «لن يكون هنالك سلامٌ حتّى يعود المسيح، إنّ أيّ تبشير بالسلام قبل هذه العودة هو هرطقة» [هالسل، النبوءة والسياسة، ص 28]. فالمسيحيون يؤمنون برجوع عيسى بن مريم، وأنّه هو المنقذ فهو عندهم من الواضحات التي جاءت على ألسنة كتّابهم ومثقّفيهم وعلمائهم بصورة جليّة؛ لذا يقول كلايد (Clyde Turner): «إنّ المسيح سيعود إلى هذه الأرض لإعادة إقامة حكم الله ولتحقيق السلام العالمي وسوف يتولّى زمام قيادة العالم، وسوف يقوم بذلك كلّه من مركز قيادته في القدس» [المصدر السابق، ص 34]. ويقول ول ديورانت (Will Durant): «كان ثمّة عقيدة مشتركة وحّدت بين الجماعات المسيحية المنتشرة في أنحاء العالم هي: أن المسيح... سيعود ليقيم مملكته على الأرض وأنّ كلّ من يؤمن به سينال النعيم المقيم في الدار الآخرة» [الخطيب، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، ص 533]. وهذا الكلام ـ وهو عودة المسيح ـ من حيث المبدأ صحيح، وأكّدته الأخبار بنزول عيسى بن مريم في آخر الزمان، ولكنّه ليس هو المصلح الموعود ،وبيان هذا الأمر أكثر، وظهور حقيقة المصلح الموعود سيأتي في المباحث اللاحقة.

ب ـ حقيقة المصلح عند المسلمين

إنّ فكرة المصلح العالمي أو ما تعرف بـ"العقيدة المهدوية" في الرسالة الإسلامية الخاتمة تعدّ من الركائز الأساسية في مسيرة الخطّ الرسالي، فقد رحل خاتم الأنبياء محمّدٌ ﷺ من

هـذه الدنيـا ولـم يتحقّـق معـه الهـدف الأسـمى للرسـالة المحمّديـة، وهـو ظهـور الديـن الإسـلامي في جميـع المعمـورة وعلى كلّ الأديـان، مـع وجـود الوعـد المقطـوع بـه في تحقّقـه، فقـد قـال تعـالى: ﴿هُـوَ الَّذِي أَرْسَـلَ رَسُـولَهُ بِالْهُـدى وَدِيـنِ الْحَـقِّ لِيُظْهِـرَهُ عَلَى الدِّيـنِ كُلِّـهِ وَكَـفَى بِـاللهِ شَـهِيدًا﴾ [سورة الفتح: 28]. ويقينًـا أنّ هـذا الهـدف سـيبقى تحقّقـه منوطًـا بظهـور الإمـام المهـديّ الذي بـشّر بـه النـبيّ الأكـرم ﷺ والأوليـاء الصالحـين مـن هـذه الأمّـة، فالفـرق الإسـلامية قـد اتّفقـت كلمتهـم على ظهـوره في آخـر الزمـان، وأنّـه سـيقيم دولـة العـدل والإنصـاف في عمـوم المعمـورة، وسـيجعل الديـن الوحيـد الذي تديـن بـه البشريـة هـو الديـن الإسـلامي، وأنّ تشـخيص هويـة المصلـح العالـمي المهـديّ المنتظـر في الرسـالة الخاتمـة أصبحـت مـن المسـلّمات الـتي آمـن بهـا جميـع المسـلمين، فقـد قـال ابـن خـلدون في تاريخـه: «اعلـم أنّ المشـهور بـين كافّـة أهـل الإسـلام على مـرّ الأعصـار، أنّـه لا بـدّ في آخـر الزمـان مـن ظهـور رجـل مـن أهـل البيـت، يؤيّـد الديـن ويظهـر العـدل ويتّبعـه المسلمون، ويسـتولي على الممالـك الإسـلامية ويسـمّى بالمهـديّ» [انظـر: ابـن خلـدون، تاريخ ابـن خلـدون، ج 1، ص 388]. وعليـه فأصـل الاعتقـاد بالمصلـح العالـمي "المهـديّ" مجمـع عليـه بـين علمـاء المدرسـتين (الإماميـة والعامّـة)، ولكـن يبـقى الاختـلاف في أنّـه مولـود وموجـود الآن فعـلًا، أم أنّـه سـيولد ويوجـد بعـد حـين وفي آخـر الزمـان؟ ذهبـت المدرسـة الإماميـة وبعـض علمـاء العامّـة إلى أنّـه مولـود وموجـود وهـو الإمـام الثـاني عـشر مـن أئمّـة المسـلمين الإمـام محمّـد بـن الحسـن العسـكري، ومـن ذرّيـة الإمـام الحسـين عليه السلام، ويؤكّد ذلـك مـا نقلـه صعصعـة عـن أمـير المؤمنـين عليه السلام، قـال صعصعـة: «يـا بـن سـبرة، إنّ الذي يصـلّي خلفـه عيـسى بـن مريـم عليه السلام هـو الثـاني عـشر مـن العـترة، التاسـع مـن ولد الحسـين بـن عليٍّ عليهما السلام، وهـو الشـمس الطالعـة مـن مغربهـا، يظهـر عنـد الركـن والمقـام فيطهّـر الأرض، ويضـع مـيزان العـدل فـلا يظلـم أحـد أحـدًا» [الصدوق، كمال الديـن، ص 527]. وقـال ابـن الصبّـاغ المالـكي: «ولد أبـو القاسـم محمّـد الحجّـة ابـن الحسـن الخالـص بـسرّ مـن رأى ليلـة النصـف مـن شـعبان سـنة خمـس وخمسـين ومئتـين للهجـرة ... وأمّـا كنيتـه فأبـو القاسـم وأمّـا لقبـه فالحجّـة والمهـديّ، والخلـف الصالـح، والقائـم المنتظَـر، وصاحـب الزمـان، وأشـهرها المهـديّ» [ابـن الصبّـاغ المالـكي، الفصـول المهمّـة في معرفـة الأئمّـة، ج 2، ص 1102]. وقـال ابـن حجـر الهيتـمي في حديثـه عـن الإمـام الحسـن العسـكري: «ولـم يخلّـف غـير ولده أبي القاسـم محمّـد الحجّـة وعمـره عنـد وفـاة أبيـه خمـس سـنين، لكـن آتـاه الله فيهـا الحكمـة ويسـمّى القائـم المنتظـر» [ابـن حجـر الهيتمـي، الصواعـق المحرقـة، ج 2، ص 601]. وأمّـا القـول الآخـر في مدرسـة العامّـة وهـو أنّ المهـديّ لـم يـولد بعـد، فهـو مذكـور عنـد بعـض علمائهـم: «إنّهـم يـرون أنّ المهـديّ أحـد الخلفـاء العادلين

المسلمين سيولد إذا شاء الله ويجري عليه كلّ ما تقتضيه الطبيعة البشرية حسب سنّة الله في الكون، وسيتولّى الحكم إذا شاء الله تعالى فيحكم بالعدل ويتتبّع خطوات الرسول ﷺ فتظهر له آثاره من الرخاء والطمأنينة» [البستوي، المهديّ المنتظر عليه السلام في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة، ص 60]. أو أنّه ولد ومات فهو ما يظهر من أقوال بعضهم الآخر [الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 19، ص 114]، وفي حقيقة الأمر أنّ هذا القول ـ وهو نفي ولادته أو أنّه ولد ومات ـ مبنيٌّ على عدم القول بإمكانية بقاء الإنسان هذا العمر المديد، هذا أوّلًا، وثانيًا أنّه لو كان مولودًا مع الدعوى بغيبته فلا ينتفع الناس بوجوده فيكون عديم الفائدة، فيصبح وجوده وعدمه سيّان. وللجواب عن هذين القولين: أمّا القول بولادته ووفاته فمن الواضح أنّ ولادته رواية متواترة ونصٌّ من المعصوم، وأمّا وفاته فليس فيها نصٌّ ورواية، بل هو رأي المخالفين واستنتاجاتهم، فتُقدَّم الرواية والنصّ على الرأي والاستنتاج، فتكون ولادته يقينًا ووفاته شكًّا، ولا يمكن نقض اليقين بالشكّ، خصوصًا أنّ الكثير من العلماء ذكروا ولادته ولم يتعرّضوا لوفاته، وصرّحوا أنّه حيٌّ إلى الآن. وأمّا علّة نفي ولادته سابقًا أصلًا لاستحالة أن يطول العمر به كلّ هذه المدّة، فيمكن الجواب عنه بجوابين: إمّا بالنقض وإمّا بالحلّ. فالنقض: بطول عمر بعض الأنبياء والصالحين فقد ذكر القرآن الكريم في بعض آياته أنّ نوحًا عليه السلام لبث في قومه ﴿**أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا**﴾ [سورة العنكبوت: 14]، وأمّا في السنّة فقد ورد أنّ آدم عاش تسعمئة وثلاثين سنةً أو أكثر من ذلك فعن ابن عبّاس قال: «بعث نوح وهو لأربعين سنةً، ولبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عامًا، وعاش بعد الطوفان ستّين عامًا، حتّى كثر الناس وفشوا. وقال قتادة: يقال إنّ عمره كلّه [كان] ألف سنة إلّا خمسين عامًا، لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمئة سنة، ودعاهم ثلاثمئة ولبث بعد الطوفان ثلاثمئة وخمسين سنةً» [ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 418].

وأيضًا يمكن مراجعة كتاب "المعمّرون والوصايا" لأبي حاتم السجستاني وكذلك كتاب "عمر الإمام المهديّ" للسيّد علي السبزواري، وكلّ هذا في النقض. وأمّا الحلّ: فإنّ العلم لا ينفي أن يكون الإنسان ذا عمر طويل؛ إذ أثبت العلم الحديث وبعد الفحص والتدقيق إمكانية أن يطول عمر الإنسان كثيرًا، فقد نقل عن الدكتور هنري سميث (Henry Smith) الأستاذ في جامعة كولومبيا الأمريكية قوله: «إنّ العلم قادر على أن يوصل عمر الإنسان إلى 800 سنة أو أكثر ويؤكّد هذا القول الدكتور گيگوردها وزر (Gigwardha Vazar) الأمريكي إذ يقول: "إنّ علم الطبّ بمساعدة علم التغذية له القدر أن يزيد عمر الإنسان أضعافًا مضاعفةً"» [الشهرستاني، المهديّ الموعود ودفع الشبهات، ص 36]. بينما يعتقد جان روستان(Jean Rostand) في ضوء الاكتشافات

والتجارب العلمية بأنّ «اتّباع طريقة حفظ الإنسان لم يعد مستحيلًا، فإنّ الاكتشافات التي سجّلها عدد من مشاهير العلماء منذ حوالي قرن تترك بعض الأمل في إمكانية التوصّل إلى مركّب متناسق يساعد في تحقيق المزيد من التقدّم، اعتمادًا على تجارب علمية سجّلها براون سيكوارد (Charles Brown Sequard) وألكسيس كاريل (Alexis Carrel) وغيرهما، أما روبرت إيتنغر (Rubirt aytanjar) الذي وضع أخيرًا كتابًا بعنوان "الإنسان هل يمكن أن يخلد حيًّا" فقد خلق آمالًا جديدةً إذ قال: إنّ الانسان الذي يعيش ويتنفّس الآن يملك حظّ البقاء من الناحية الفيزيائية» [انظر: جريدة الأنباء الجديدة البغدادية، العدد 40، السنة الأولى، 1965]. وأمّا الفائدة في غيبته فيمكن تصنيفها إلى قسمين: القسم الأوّل تعود الفائدة فيها إلى الإمام نفسه وهي:

1ـ الحفاظ على الإمام من القتل والاغتيال إلى أن تتهيّأ الظروف المناسبة لظهوره ويؤيّدها ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «إنّ للقائم غيبةً قبل ظهوره. يقول الراوي: قلت: ولِمَ؟ فقال الإمام الباقر: يخاف، أي القتل». [الصدوق، علل الشرائع، ج 1، ص 246].

2ـ لينتفع بما استجمعه من المعلومات طيلة غيبته من غير أن يؤثّر على عمله شيء، وقد نقل عن المفكّر الإيرلندي برناردشو وصفه المصلح في كتابه "الإنسان السوبرمان" بأنّه «إنسان حيٌّ ذو بنية جسدية صحيحة وطاقة عقلية خارقة، إنسان أعلى يترقّى إليه هذا الإنسان الأدنى بعد جهد طويل، وأنّه يطول عمره حتّى ينيف على ثلاثمئة سنة، ويستطيع أن ينتفع بما استجمعه من أطوار العصور وما استجمعه من أطوار حياته الطويلة» [آل ياسين، المهديّ المنتظر بين التصوّر والتصديق، ص 57 و58].

3ـ حتّى لا تكون في عنقه بيعة لأحد تلزمه الوفاء بها، فعن سعيد بن جبير قال: «قال عليّ بن الحسين سيّد العابدين عليه السلام: القائم منّا تخفى ولادته على الناس حتّى يقولوا: لم يولد بعد، ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة» [الصدوق، كمال الدين، ص 323].

والقسم الثاني وهو ما تعود الفائدة فيها إلى الناس، ونذكر بعضها:

1ـ هنالك انتفاع عظيم من المصلح المهديّ حتّى مع غيبته لا يعلمه إلّا الله تعالى، ويؤكّده ما رواه جابر عن النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله: «فقال جابر: يا رسول الله، فهل ينتفع الشيعة به في غيبته؟ فقال صلى الله عليه وآله: إي والذي بعثني بالنبوّة، إنّهم لينتفعون به، يستضيؤون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس، وإن جلّلها السحاب. يا جابر، هذا مكنون سرّ الله ومخزون علمه، فاكتمه إلّا عن أهله» [المجلسي، بحار الأنوار، ج 36، ص 250].

2ـ امتحان الناس وتمحيصهم وتمييز المؤمن بالإمام المصلح من المشكّك به، قال جعفر سبحاني: «وربّما ذكر وجه آخر لغيبته في بعض الروايات، وهي اختبار الناس وتمحيصهم وامتحانهم، يعني أنّ الناس يختبرون في عصر الغيبة، ويمرّون بالامتحان الإلهي، ويعرف مدى ثباتهم على طريق الإيمان، ومدى استقامتهم في طريق الإيمان والعقيدة» [سبحاني، العقيدة الإسلامية، ص 219].

المبحث الثالث: الأدلّة على وجود المصلح العالمي في الديانات السماوية

يمثّل الدليل الذي يقام لإثبات أيّ موضوع وسيلة واضحة لإظهار حقيقة ذلك الموضوع وأحقّيته، ومن هنا لا بدّ من الإشارة إلى وجود تناسب بين قوّة الدليل ودليليته وبين الموضوع المراد إقامته عليه، فنجد أنّ الأدلّة قد تختلف باختلاف موضوعاتِها، وأنّه يمثّل الدور المحوري في الإثبات، فهو يعدّ مسؤولًا عن إيصال الباحث إلى حقيقة ما يبحث عنه، وهذا الكلام ينسحب على إقامة الأدلّة لإثبات فكرة المصلح العالمي (المهديّ الموعود) وبما أنّ هذه المسألة تُعدّ من المسائل المهمّة في العقيدة الإنسانية وديمومة الفكر البشري ومستقبله، ولكن بالرغم من دعوى بعض هذه الديانات أنّ المصلح العالمي هو من أحد أفرادها ـ كلٌّ بحسب ديانته ـ إلّا أنّ الواقع وما تحاكيه الأدلّة التي أقاموها يخالف هذه الحقيقة، وأنّ الصفات التي تثبتها هذه الأدلّة للمصلح لا تتوافق مع مدّعاهم في إثبات حقيقته عندهم، وإنّما تنطبق أكثر هذه الأدلّة على المصلح الذي هو من ذرّية خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، ويتحقّق ذلك لأمرين:

الأمر الأوّل: أنّ هذه الأديان تتحدّث عن أنّ المصلح سوف يوجد في آخر الزمان، ولم تدّع أيٌّ منها سواءٌ التوراة أو الإنجيل أنّه منهم، وإنّما قاموا بتأويل النصوص التي ذكرتها كتبهم وأشارت إلى الصفات التي يتمتّع بها المصلح، وكلّ هذه الصفات إذا أردنا أن نجعلها على شخصية ما فهي لا تنطبق إلّا على المهديّ الموعود في شريعة خاتم الأنبياء محمّد ﷺ.

الأمر الثاني: بما أنّ الشريعة المحمّدية هي الشريعة الخاتمة، وهي الباقية إلى آخر الزمان وقد قرّر لها أن تكون ظاهرةً على جميع الأديان، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [سورة التوبة: 33] فمن الطبيعي أن يكون المصلح من أفرادها لا من ديانات أخرى حتّى يتحقّق الإظهار لهذه الشريعة في اليوم الموعود؛ ولهذا فمن الحقّ والصحيح القول إنّ المهديّ المنتظر هو المصلح العالمي، وهو ما سيتّضح لك فيما يلي.

أوّلًا: المصلح العالمي في التوراة والإنجيل

إنّ الايمان بحتمية ظهور المصلح العالمي وإقامة دولته العادلة في الديانات السابقة، والتبشير بهذه العقيدة المتأصّلة عندهم يعدّ ركنًا أساسيًّا قامت عليه هذه الديانات واستمرّت في مشروعها المستقبلي، فهي تتحرّك في ضوئه، وأنّ دعوة جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وأوصيائهم الربّانيين يتجسّد فيها الإعلان الواضح عن بيان هذه الفكرة وتوجيه أنظار الشعوب إلى القضايا العقدية المصيرية المتعلّقة بمصيرهم الوجودي، فيكون المصلح والمخلِّص الذي ترسله السماء لأهداف إلهية جوهر هذه القضايا التي تنشر السعادة الإنسانية في جميع أنحاء المعمورة، فالمصلح سوف يصنع السلام للبشرية، ويدفع بالحروب إلى أن تضع أوزارها وينتشر العدل والأمان في أرجاء العالم بعد القيام، وهو ما سيتّضح لك من خلال التعرّض للمصلح في تلك الديانات.

أ ـ المصلح في التوراة

هنالك الكثير من الأدلة التي ذكرت في العهد القديم(التوراة) وهي تتحدث عن مجموعة كبيرة من الصفات التي تتحقق في المصلح العالمي الموعود منها:

الأولى: الصفات التي تتحدث عن وراثة الأرض الى الأبد. فقد وردت بعض النصوص في سفر المزامير ما يشير الى أنّ الله تعالى سوف يورث الأرض للصالحين من عباده: «لأَنّ عَامِلِي الشّرِّ يُقْطَعُونَ، وَالّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الرّبّ هُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ. ۞ بَعْدَ قَلِيلٍ لَا يَكُونُ الشِّرِّيرُ. تَطَّلِعُ فِي مَكَانِهِ فَلَا يَكُونُ. ۞ أَمَّا الْوُدَعَاءُ فَيَرِثُونَ الأَرْضَ، وَيَتَلَذَّذُونَ فِي كَثْرَةِ السَّلَامَةِ» [سفر المزامير: 37، 9 - 11] «لأَنَّ الْمُبَارَكِينَ مِنْهُ يَرِثُونَ الأَرْضَ، وَالْمَلْعُونِينَ مِنْهُ يُقْطَعُونَ» [سفر المزامير: 37، 22] «لِأَنَّ الرَّبَّ يُحِبُّ الْحَقَّ، وَلَا يَتَخَلَّى عَنْ أَتْقِيَائِهِ. إِلَى الْأَبَدِ يُحْفَظُونَ. أَمَّا نَسْلُ الْأَشْرَارِ فَيَنْقَطِعُ. ۞ الصِّدِّيقُونَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الأَبَدِ» [سفر المزامير: 37، 29]. من الواضح أنّ هذه النصوص تتحدث عن وراثة الأرض وانتصار أهل الحقّ على أهل الباطل، وسيكون المباركون والصدّيقون هم ممّن يرث الأرض إلى الأبد، وهي مصداق لقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [سورة الأنبياء: 105]. فانطباق كلّ هذه الأوصاف على المنقذ في الشريعة الخاتمة هو من أوضح المصاديق للموعود بالوراثة.

الثانية: يعطى البرّ ويقيم العدل في الناس وينصر المظلوم ويملك الأرض كلّها كما في قوله: «اللّهُمّ أَعْطِ أَحْكَامَكَ لِلْمَلِكِ، وَبِرّكَ لِابْنِ الْمَلِكِ. ۞ يَدِينُ شَعْبَكَ بِالْعَدْلِ، وَمَسَاكِينَكَ بِالْحَقِّ. ۞ تَحْمِلُ الْجِبَالُ سَلَامًا لِلشَّعْبِ، وَالآكَامُ بِالْبِرِّ. ۞ يَقْضِي لِمَسَاكِينِ الشَّعْبِ. يُخَلِّصُ بَنِي

الْبَائِسِينَ، وَيَسْحَقُ الظَّالِمَ» [سفر المزامير: 72، 1 - 4]. «وَيَمْلِكُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ» [سفر المزامير: 72، 8]. «وَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ الْمُلُوكِ. كُلُّ الأُمَمِ تَتَعَبَّدُ لَهُ. ✿ لِأَنَّهُ يُنَجِّي الْفَقِيرَ الْمُسْتَغِيثَ، وَالْمِسْكِينَ إِذْ لَا مُعِينَ لَهُ» [سفر المزامير: 72، 11 و12]. «يَكُونُ اسْمُهُ إِلَى الدَّهْرِ. قُدَّامَ الشَّمْسِ يَمْتَدُّ اسْمُهُ، وَيَتَبَارَكُونَ بِهِ. كُلُّ أُمَمِ الأَرْضِ يُطَوِّبُونَهُ» [سفر المزامير: 72، 17].

بهذه الكلمات دعا النبيّ داوود ﷺ ربّه بإعطاء شريعته للملك بقوله: "اللّهُمّ أَعْطِ أَحْكَامَكَ لِلْمَلِكِ" ـ ويقصد بأحكامك أي شريعتك ودينك هي جميع ما جاء به الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله للبشرية ـ وهذا الدعاء إنّما يتحقّق في الشريعة الخاتمة التي تجمع الأديان السماوية كافّةً تحت ظلّها وتهيمن عليها: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [سورة التوبة: 33]، فهذه الشريعة هي التي ستحكم جميع الأمم والشعوب؛ ولذا عبّر "بالملك" إشارةً إلى الرسول، وإمّا قوله: "وَبِرَّكَ لِابْنِ الْمَلِكِ" فالمراد به هو المخلّص الموعود الذي يحكم بشريعة أبيه (الملك) التي ستعمّ العالم، ويملك الأرض من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض، ويحكم شعبه بالعدل والحقّ وهو ما أشار إليه قوله: "يَدِينُ شَعْبَكَ بِالْعَدْلِ، وَمَسَاكِينَكَ بِالْحَقِّ"، وهذا يتطابق تمامًا مع قول النبيّ الأكرم ﷺ في حقّ المهديّ الموعود: «يملأ الأرض قسطًا وعدلًا» [المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 50]، وذكر إشعياء في سفره المصلح العالمي في حالتين:

الأولى: في ذكر صفات زمانه وحكمه فيقول: «بَلْ يَقْضِي بِالْعَدْلِ لِلْمَسَاكِينِ، وَيَحْكُمُ بِالْإِنْصَافِ لِبَائِسِي الأَرْضِ، وَيَضْرِبُ الأَرْضَ بِقَضِيبِ فَمِهِ، وَيُمِيتُ الْمُنَافِقَ بِنَفْخَةِ شَفَتَيْهِ. ✿ وَيَكُونُ الْبِرُّ مِنْطَقَةَ مَتْنَيْهِ، وَالأَمَانَةُ مِنْطَقَةَ حَقْوَيْهِ. ✿ فَيَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ، وَيَرْبُضُ النَّمِرُ مَعَ الْجَدْيِ، وَالْعِجْلُ وَالشِّبْلُ وَالْمُسَمَّنُ مَعًا، وَصَبِيٌّ صَغِيرٌ يَسُوقُهَا. ✿ وَالْبَقَرَةُ وَالدُّبَّةُ تَرْعَيَانِ. تَرْبُضُ أَوْلَادُهُمَا مَعًا، وَالأَسَدُ كَالْبَقَرِ يَأْكُلُ تِبْنًا. ✿ وَيَلْعَبُ الرَّضِيعُ عَلَى سَرَبِ الصِّلِّ، وَيَمُدُّ الْفَطِيمُ يَدَهُ عَلَى جُحْرِ الأُفْعُوَانِ. ✿ لَا يَسُوؤُونَ وَلَا يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي، لِأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ» [سفر إشعياء، 11: 1 – 9].

والثانية: في ذكره وقيامه: «وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَصْلَ يَسَّى[1] الْقَائِمَ رَايَةً لِلشُّعُوبِ، إِيَّاهُ تَطْلُبُ الأُمَمُ، وَيَكُونُ مَحَلُّهُ مَجْدًا» [سفر إشعياء: 11، 10]. ومعلوم أنّ هذه المقاطع في النصّ

1-إنّ لفظة "يسّي" في النصّ تعني: سيرفع، وقد جاءت بصيغة الاستقبال لدخول حرف الياء عليها، والماضي منه "ناسا" بمعنى: "رفع"، ومترجم العهد القديم في النسخة العربية لم يترجم لفظة "يسّي" العبرية والتي تعني "سيرفع"، بل أبقاها بدون ترجمة إلى العربية في محاولة منه لبس المعنى وإثارة الغموض حول مفهوم القائم عجّل الله فرجه. [النصيري، أهل البيت في الكتاب المقدّس، ص 127]

تشير بوضوح إلى القائم الموعود الذي بشّر به نبيّ الإسلام محمّد ﷺ، وكلّ ما موجود فيه يتطابق مع ما ورد في خصوص المهديّ المنتظر وما يكون في زمانه من الأمن والأمان.

ب- المصلح في الإنجيل

لم تغفل الأناجيل عن ذكر المصلح والمنقذ في آخر الزمان، فقد وردت النصوص الكثيرة في بيان كلّ ما يتعلّق بهذه الشخصية المهمّة في المسيرة البشرية، وإن كان حقيقة هذا المصلح الموعود عند النصارى تتحدّد بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ولكنّ النصوص الواردة في الأناجيل لا تنطبق على هذه الدعوى، بل هي على "المهديّ الموعود" في الشريعة الخاتمة أكثر انطباقًا، وهو ما ستراه في النصوص التي سنذكرها من الأناجيل: فقد ذكر إنجيل متّى بعض الصفات المنطبقة على الموعود المنتظر إذ قال: «وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. ۞ وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَاب السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. ۞ فَيُرْسِلُ مَلاَئِكَتَهُ بِبُوق عَظِيمِ الصَّوْتِ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا» [إنجيل متّى: 24، 29 - 31]. «وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ مَلاَئِكَةُ السَّمَاوَاتِ، إِلَّا أَبِي وَحْدَهُ. ۞ وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ» [إنجيل متّى: 24، 36 و37]. فقد عبّرت هذه النصوص عن ظهور علامات "ابن الإنسان" في السماء وكذلك مجيئه، ويقينًا أنّ هذا الوصف لا ينطبق على عيسى بن مريم؛ لأنّ النصارى يعتقدون أنّ عيسى هو ابن الله لا ابن الإنسان، وإن كنّا لا ننكر رجوع المسيح في آخر الزمان إلّا أنّ من المرجّح جدًّا أنّ هذا الوصف ينطبق على المصلح الموعود في شريعة النبيّ الخاتم ﷺ وهو المهديّ المنتظر. وقال مرقس في إنجيله: «وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا فِي سَحَابِ السَّمَاءِ» [إنجيل مرقس: 14، 62]. والذي يظهر أنّ المراد من قوله: "يمين القوّة" هو كناية عن أنّ "ابن الإنسان" يأتي بتأييد السماء له، وأمّا قوله: "آتيًا على السحاب" فالذي يظهر منه أمران: الأوّل: خفاء أمره فلا يعلم به أحد وهو ما يؤيّده قول متّى السابق في إنجيله: «وأمّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماوات». والثاني: هو سرعة إصلاح أمره فإنّ الله تعالى يصلح أمره في ليلة ويظهره للناس ويؤكّده ما ورد في حديث الإمام الصادق عليه السلام إذ قال: «إنّ صاحب هذا الأمر فيه سنّة من يوسف ابن أمة سوداء يصلح الله أمره في ليلة واحدة» [المجلسي، بحار الأنوار، ج 36، ص 301].

ثانيًا: المصلح العالمي في القرآن والسنّة

أجمع علماء الإسلام بجميع طوائفهم على ضرورة الإيمان بظهور المصلح العالمي، وهو في عقيدتهم ما يسمّى بـ "المهديّ المنتظر"، وأنّ قيامه في المجتمعات البشرية أمر في غاية الأهمّية، والهدف منه إقامة الحكومة العادلة التي تأخذ دورها في عملية الإصلاح الشامل لجميع الجوانب الحياتية، ويقوّم النظام العالمي الفاسد الذي يعيش تحت وطأته الناس بمختلف فئاتهم، وإنّ حكومة الأمل المنشود تمثّل أعظم انتصار يمكن أن تفوز به البشرية على امتداد تاريخها، وبالرغم من هذا الإجماع على وجود المهديّ إلّا أنّ حقيقته عند المذاهب الإسلامية ـ كما تقدّم ـ قد تختلف بين من يقول بولادته في القرن الثالث الهجري، وهو موجود الآن حيٌّ يرزق كما هو رأي الإمامية، وبين من يقول إنّه سيولد في آخر الزمان كما هو عليه بعض علماء السنّة ومؤرّخيهم، وقد أكثرت الكتب والمؤلّفات التي صدرت من علماء المسلمين في ذكر المهديّ الموعود، بحيث لا يكاد يخلو من ذكره كتاب عقدي واحد؛ لأنّه يمثّل الحالة المستقبلية للبشرية جمعاء؛ ولهذا نجد أنّ القرآن الكريم والسنّة الشريفة لم يتجاهلا ذكره في الآيات والروايات كأدلة تثبت وجوده وحقيقته؛ ولذا سنقوم بذكر بعض الآيات والروايات للاستدلال بها على وجود المهديّ المنتظر عليه السلام.

1ـ المصلح العالمي في الآيات القرآنية

صرّح القرآن الكريم في بعض آياته بوجود المصلح العالمي من خلال الإشارة الى مواصفات تنطبق عليه وعلامات تدلّ عليه، وأنّ هنالك بعض عباد الله مؤمنين صالحين سيجعلهم الله تعالى أئمّةً على الناس يرثون الأرض ويعملون الصالحات فيها، وسيمكّنهم في نشر الدين الذي ارتضاه لهم ويظهره على جميع الأديان الموجودة، وهذه كلّها وعود وبشارات تنبئ بحتمية ظهور المصلح العالمي "المهديّ المنتظر" من هذه الآيات:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [سورة الأنبياء: 10]. من المعلوم أنّ الأرض هي ملك لله يتصرّف بها كيف يشاء، فله أن يهبها لمن يشاء، ويورثها من يريد؛ ولهذا جعل وراثة الأرض للصالحين من عباده أمرًا مقطوعًا به، فقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام تحديد العباد الذين سيرثون الأرض؛ إذ قال: «وجدنا في كتاب عليٍّ عليه السلام: ﴿**إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ أنا وأهل بيتي الذين أورثنا الله الأرض ونحن المتّقون، والأرض كلّها لنا» [الكليني، الكافي، ج 1، ص 407]. وقد

وردت بعض الآيات القريبة من مفاد هذه الآية كما في قوله تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾ [سورة القصص: 5].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾ [سورة النور: 55]. تتحدّث هذه الآية عن عدّة أمور كلّها تصبّ في بيان أحوال القائم من آل محمّد واستخلافه في الأرض وإصلاح البشرية على يديه:

أ- هنالك وعد من الله تعالى للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بالاستخلاف في الأرض، ومن المعلوم ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾ [سورة الرعد: 31] وقد ورد عن أبي جعفرٍ الباقر عليه السلام قوله: «إنّ ذلك وعد الله للمؤمنين بأنّهم يرثون جميع الأرض» [الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج 7، ص 284]. وقال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج: «إنّ أصحابنا يقولون إنّه وَعَدَ بإمام يملك الأرض ويستولي على الممالك» [ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج 19، ص 29].

ب- أنّ سنّة الاستخلاف في الأرض ستجري في هذه الأمّة في القائم من آل محمّد عليهم السلام كما جرت في الأمم السابقة، وهو ما أكّده النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله: «لتتّبعنّ سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، حتّى أنّه لو دخل أحدهم جحر ضبٍّ لدخلتموه. فقالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ فقال صلى الله عليه وآله: فمن إذن» [الطوسي، الاقتصاد، ص 213].

جـ- التمكين لهم في الأرض وإظهار الدين الإسلامي الذي ارتضاه للبشرية ﴿**وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [سورة المائدة: 3].وهذه الآية ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ «قد روي متواترًا أنّها وردت فيهم عليهم السلام وكمال الاستخلاف في زمان المهديّ (صلوات الله عليه) فإنّه الزمان الذي يجتمع الخلائق على الإيمان، ويرتفع الشرك بالكلّية، كما رواه العامّة أيضًا متواترًا» [المجلسي الأوّل، روضة المتّقين، ج 5، ص 471]. فبشّر الله تعالى بإظهار الدين الحقّ على جميع الأديان في هذه الأرض في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [سورة الصفّ: 9]. عن المفضّل بن عمر قال: «سألت سيّدي الصادق عليه السلام :... قال: فوالله يا مفضّل، ليرفع عن الملل والأديان الاختلاف، ويكون الدين كلّه واحدًا، كما قال جلّ ذكره: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾ [سورة آل عمران: 19]، وقال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [سورة آل عمران: 85]» [ابن سليمان الحلّي، مختصر بصائر الدرجات، ص 180].

د ـ استبدال الخوف الذي كان يعيشه القائم من آل محمّد بالأمن والأمان، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «إنّ للقائم غيبةً قبل ظهوره. يقول الراوي: قلت: ولِمَ؟ فقال الإمام الباقر: يخاف، أي القتل». [الصدوق، علل الشرائع، ج1، ص 246]. وقال الشيخ الطوسي: «لا علّة تمنع من ظهوره عليه السلام إلّا خوفه على نفسه من القتل؛ لأنّه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار وكان يتحمّل المشاقّ والأذى، فإنّ منازل الأئمّة وكذلك الأنبياء عليهم السلام إنّما تعظّم لتحمّلهم المشاقّ العظيمة في ذات الله تعالى» [الطوسي، الغيبة، ص 329]. وقد ورد في بعض الأدعية ما يشير إلى هذه الفقرات بقوله: «اللّهُمَّ وصلّ على وليّ أمرك القائم المؤمّل والعدل المنتظر، احففه بملائكتك المقرّبين، وأيّده بروح القدس يا ربّ العالمين، اللّهُمَّ اجعله الداعي إلى كتابك والقائم بدينك، استخلفه في الأرض كما استخلفت الذين من قبله، مكّن له دينه الذي ارتضيته له، أبدله من بعد خوفه أمنًا يعبدك لا يشرك بك شيئًا» [الطوسي، تهذيب الأحكام، ج 3، ص 111]. ومن الواضح أنّ جميع هذه الأمور سوف تتحقّق في المصلح الإسلامي المهديّ المنتظر عليه السلام.

2ـ المصلح العالمي في السنّة الشريفة

تصدّت الأحاديث الكثيرة عند المدرستين ـ الأمامية والعامّة ـ لذكر المهديّ الموعود الذي سيملك الأرض من أقصاها إلى أقصاها، لتشكّل جانبًا من جوانب الأدلّة القطعية على وجود المصلح العالمي الذي سيظهر في آخر الزمان، وبذلك يمكن أن تمثّل السنّة الشريفة المساحة الواسعة التي تتحدّث عن وجود المصلح العالمي في هذه الأرض، وسنشير إلى ذكر بعض الروايات التي تدلّ على وجود المنقذ العالمي، وهي:

الرواية الأولى: عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: «أما والله ليغيبنّ عنكم مهديّكم حتّى يقول الجاهل منكم: ما لله في آل محمّد حاجة، ثمّ يقبل كالشهاب الثاقب فيملأها عدلًا وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا» [الصدوق، كمال الدين، ص 342].

الرواية الثانية: عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ سنن الأنبياء بما وقع بهم من الغيبات حادثة في القائم منّا أهل البيت، حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، قال أبو بصير: فقلت: يا بن رسول الله، ومن القائم منكم أهل البيت؟ فقال: يا أبا بصير، هو الخامس من ولد ابني موسى، ذلك ابن سيّدة الإماء، يغيب غيبةً يرتاب فيها المبطلون، ثمّ يظهره الله عزّ وجلّ فيفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها، وينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلّي خلفه وتشرق الأرض بنور ربّها، ولا يبقى في الأرض بقعة عُبِدَ فيها غير الله عزّ وجلّ إلّا عُبِدَ الله فيها، ويكون الدين كله لله ولو كره المشركون» [المصدر السابق، ص 346].

الرواية الثالثة: عن رسول الله ﷺ قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» [البخاري، صحيح البخاري، ج 4، ص 143].

الرواية الرابعة: عن سعيد بن جبير قال: «قال عليّ بن الحسين سيّد العابدين عليه السلام: القائم منا تخفى ولادته على الناس حتّى يقولوا: لم يولد بعد، ليخرج حيث يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة» [الصدوق، كمال الدين، ص 323]. فكلّ هذه الروايات تتحدّث عن حتمية ظهور المصلح العالمي وهو المهديّ المنتظر الذي سيملك الأرض ويقيم دين الله فيها، ويعمل بشريعة جدّه المصطفى ﷺ. وهنالك الكثير من الروايات التي وردت في كتب الفريقين وهي تتحدّث عن المهديّ المنتظر عليه السلام وإحصاؤها لا يسعه الكلام هنا.

المبحث الرابع: نفسية الجماهير ومطلب العدالة

لم تكن العدالة الاجتماعية يومًا من الأيّام مجرّد دعوة نظرية أو فكرة طارئة أو هي مجرّد نظرية فلسفية وضعت من أجل بيان حقيقة ما، وإنّما هي منهج حياتي متجذّر في المجتمع الإنساني، وتطبيق عملي في الأرض يهدف إلى ترسيخ نظام حياتي متكامل لتحسين أوضاع الناس، وجعلهم قادرين على العيش في بيئة تحقّق لهم المساواة والكرامة وتحقيق التوازن بين الحقوق والواجبات، وإيجاد مساحات واسعة لضمان حياة كريمة ليعيش فيها الإنسان، فالعدالة الاجتماعية هي نظام منبثق من قيم السماء ويشكّل أساسًا لاستقرار الأرض، فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾ [سورة النحل: 90]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ**﴾ [سورة النساء: 135]، ففي هذه الآيات الكريمة دعوة واضحة للمؤمنين أن يكونوا الأساس لتطبيق العدالة في الأرض؛ لأنّها أمر مقدّس، يتحمل مسؤوليتها كلّ فرد في المجتمع، ابتداءً من الجهاز الحاكم وصولًا إلى أضعف الناس، والسؤال الذي يطرح في المقام هو: هل يمكن أن تتقبّل نفسية الجماهير مطلب العدالة بحيث يشكّل عقلًا جمعيًّا يسعى لتحقيقها؟ وهل يمكن أن نشكّل مجتمعًا عادلًا يعمل على وفق العدالة المجتمعية؟ فهذه الأسئلة سنجيب عليها من خلال النقاط التالية:

أوّلًا: استعداد الناس لتقبّل العدالة الاجتماعية

تمثّل العدالة مطلبًا إنسانيًّا تهفو كلّ النفوس البشرية ـ أو أغلبها ـ لتحصيلها، فهي حاجة ملحّة تسعى وراءها الناس، فجميع المجتمعات الإنسانية لا تخلو في طبقاتها من التقسيم الثلاثي لأبنائها:

الطبقة الأولى: هم الأثرياء والأغنياء والذين يعتلون على ظهور الناس ليستحوذوا على كلّ شيء.

الطبقة الثانية: هم الطبقة المتوسّطة المتساوية في البذل والأخذ.

الطبقة الثالثة: هم الطبقة المسحوقة، الفقيرة والضعيفة وهؤلاء يشكّلون الأغلب الأعمّ من أبناء المجتمع.

فالطبقتان المتقدّمتان لا يمسّهما ظلم؛ لأنّ الأولى لا تقدّم شيئًا أو تقدّم بعض الشيء لتأخذ كلّ شيء. والثانية ما تقدّمه تكتفي في الأخذ بقدره. وأمّا الطبقة الثالثة فهم يقدّمون كلّ شيء في مقابل لا شيء؛ ولهذا يكون الظلم الواقع على هذه الطبقة أكبر وأوسع، فهذه الطبقة تحتاج أكثر من غيرها لتطبيق العدالة الاجتماعية على الجميع وتسعى لتحقيقها لغرض إنصافهم وإعطائهم حقوقهم، وهذا لا يعني أنّ باقي الطبقات لا تريد تطبيق العدالة الاجتماعية، فالكلّ يرغب بتطبيقها ولكن كلٌّ بحسبه؛ ولذا فعلى السلطة الحاكمة أن تسعى لتطبيق هذا المبدإ لغرض تأسيس مجتمع يؤمن بأنّ العدالة مطلب يجب تحقيقه بين الناس، وهو ما كان ينادي به مولى الموحّدين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بقوله: «الذليل عندي عزيزٌ حتّى آخذ الحقّ له، والقويّ عندي ضعيفٌ حتّى آخذ الحقّ منه» [نهج البلاغة، من كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة، الرقم 37]. وهذا أيضًا يتحقّق عند ظهور المهديّ المنتظر عليه السلام، فقد قال الإمام الحسين عليه السلام: «إذا قام قائم العدل وسع عدله البرّ والفاجر» [البرقي، المحاسن، ج 1، ص 61]. وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا قام قائم أهل البيت، قسّم بالسوية وعدل في الرعية» [النعماني، الغيبة، ص 243]. وفي الحقيقة أنّ هذا هو عين العدالة الاجتماعية؛ ولهذا اشتهر في أنّه عليه السلام يملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعدما ملئت ظلمًا وجورًا. [انظر: الصدوق، الأمالي، ص 79]

ومن غير المعقول أن لا تقبل الناس نشر العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع، فهي حقيقة فطرية تعيش في أعماق العقل البشري ويتحسّسها الضمير الإنساني، ويؤمن بها كلّ إنسان يعيش الألم والظلم والعذاب وغيرها من المعاناة اليومية، فالعقل يدرك في صميمه أنّ هذا العالم قائم على العدل والتوازن، فلا بدّ من تحقّق العدالة في هذه الأرض وإلّا فالعدالة السماوية تصبح عبثًا وبلا فائدة، ومع ذلك فهذه ليست المشكلة الحقيقية الكاملة وإن كانت نسبيةً، وإنّما المشكلة الأساسية هي في بناء العدالة المجتمعية، ونقصد بها أن نؤسّس لعدالة تنبع من المجتمع نفسه، أي أنّ أفراد المجتمع جميعهم يتحلّون بقيم العدالة ويطبّقونها

فيما بينهم، وحلّ هذه المشكلة يقوم على أساس تأليف عقل جمعي واعٍ ينهض بأعباء هذه المسؤولية[2] والعمل على قيادة أبناء المجتمع، بحيث يصبح المجتمع كلّه معه، وعلى مسير واحد وهدف واحد، وهو بناء مجتمع يتقبّل العدالة المجتمعية ويعمل بها.

ثانيًا: العدالة الاجتماعية في الميزان الديني الإلهي

تعدّ العدالة الاجتماعية في الإسلام قيمةً إلهيةً مطلقةً غرسها الله ﷻ وغرس محبّتها في النفوس البشرية السويّة وأصحاب الفطرة السليمة، وهي بمعناها الحقيقي غير قابلة للتبديل ولا تخضع للعواطف والأهواء، ولا يتغير معناها مهما كانت الدوافع والأسباب، فالعدالة من منظور الإسلام هي مشروع حضاري ذو أبعاد أخلاقية وإنسانية، مكسبه الأوّل والأخير هو الإنسان، ولا يمكن لأيّ أمّة أن تحقّق التكامل والرقيّ إلّا من منطلق العدالة التي تجعل الإنسانية تسمو بمعناها في جميع أفراد المجتمعات البشرية، وهذا ما يؤسّسه القرآن الكريم بأسلوبه الحضاري المجتمعي، فقد قال تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ [سورة الأعراف: 159]. بل إنّ الله تعالى قد أمر بالعدل والإحسان وهذه من أهمّ مقوّمات العدالة الاجتماعية قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾ [سورة النحل: 90]. فالإسلام دائمًا يبني منظومته على أسس العدالة الاجتماعية وهو لم يكتفِ بذلك، بل يريد أن يحوّل العدالة الاجتماعية إلى عنصر فعّال في المجتمع لتصبح العدالة مجتمعية؛ ﴿**لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾ فتنبثق من مقوّمات المجتمع الصالح؛ ليضمن تحقيق هدفه المنشود، وهو الوصول بالإنسان إلى العنصر الإيجابي في كونه خليفة الله في أرضه. فالعدالة الاجتماعية هي عنوان بارز تظهر حقيقتها في أسس المنظومة الدينية تبدأ أوّلًا من خلال الجهاز الحاكم الذي بيده إدارة شؤون المسلمين في إعطاء كلّ ذي حقٍّ حقّه، وإنصافه في الحقوق والواجبات وفي كلّ شيء، وهذا لا يلزم الظلم، فالقرآن الكريم يضع اللمسات في منهجية التفاوت، ولكن ليس على وفق المقوّمات الاجتماعية والمعطيات الدنيوية، وإنّما يضع التفاوت على وفق مقوّمات أرقى وأنبل، ليكون هذا هو عين العدالة الاجتماعية التي يجب أن يبنى عليها المجتمع، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [سورة الحجرات: 13]، وقول الباري هذا يمثّل أعظم مبادئ العدالة الاجتماعية الصادرة من السماء؛ إذ لا يقيَّم الناس من خلال مناصبهم ولا أموالهم أو أعراقهم أو ألوانهم، بل من خلال التكامل في التقوى والصلاح، ومن أروع ما مثّله الجهاز

2- لقد ذكرنا في مقالتنا الموسومة بـ"العقل الجمعي الواعي واللاواعي.. الآثار والتداعيات" كيف يمكن تأسيس عقل جمعيّ واعٍ يقوم بهذه المهمّة. [الأسدي، العقل الجمعي الواعي واللاواعي، مجلة الدليل، العدد 27]

الحاكم في نشر العدالة الإجتماعية في المجتمع المسلم هو ما كان من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ إذ حقّق العدالة الاجتماعية بأنصع صورها، فكان يوصي الولاة في البلاد بأن يراعوا الناس ويحفظوا كرامتهم فقد أوصى لأحد الولاة قائلًا: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبّة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدين وإمّا نظيرٌ لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطإ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنّك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق مَن ولّاك» [نهج البلاغة، من عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لمّا ولّاه على مصر وأعمالها، الرقم 53]. وقال لوالٍ آخر من ولاته وهو يوصيه في معاملة الناس: «فاخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وأبسط لهم وجهك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة حتّى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك بهم، فإنّ الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة» [المصدر السابق، من عهده عليه السلام إلى محمّد بن أبي بكر حين قلّده مصر، الرقم 27]. وفي هذه الأقوال سطّر مولى الموحّدين أروع صور العدالة الاجتماعية الصادرة من أعلى هرم في السلطة الحاكمة في المجتمع الإسلامي، الذي يمثّل الدين من جهة باعتباره إمام المسلمين ومن جهة أخرى يعدّ الرئيس الفعلي لإدارة أمورهم.

ثالثًا: العدالة الاجتماعية في المنظور البشري الوضعي

إنّ العدالة في المنظور البشري تختلف كثيرًا عمّا هي في المنظور الديني؛ إذ يعتقد المشرّع الوضعي أنّ التفاوت في الحقوق البشرية يعدّ ظلمًا، وهذا بحسب الوجهة النظرية التي وضعوها، وأمّا بحسب المنظور العملي والتطبيقي فالكلام خلاف هذا الأمر تمامًا؛ إذ إنّنا نرى التفاوت الفاحش بين الناس في كلّ شيء، فالظلم واضح للعيان في كلّ القوانين المسنونة في دساتير الأمم، وإنّ المراكز العليا في البلد قد سنّت القوانين على مقياسها، فالقوانين الوضعية التي سنّتها الدوائر الاستكبارية ووضعوا لها عناوين كحقوق الإنسان والقضاء على الظلم مثلًا كانت كفيلةً بإنجاب الظلمة والمستبدّين، وزدادت الإنسانية يومًا بعد يومٍ بؤسًا وألمًا، فكان في قبال التطوّر الصناعي والتقني وغيرهما من المجالات الأخرى تخلّف حضاري في أساليب الحكم، فتتطوّر معها أساليب الاستبداد والقتل والاتّجار بالبشر وسحق الطبقة الفقيرة في المجتمع، وما تخلّفه الحروب كلّها أثّرت بشكل كبير على تطبيق العدالة الاجتماعية، فالمجتمع البشري لا يمكنه الوصول إلى الاجتماع والوحدة الحقيقية القادرة على

منع الحروب وتصفير الأزمات إلّا بعد تعامل أبناء المجتمع مع القواسم المشتركة الجامعة للعنصر البشري، ومن الواضح أنّ العوامل المادّية لا تمثّل عنصر الوحدة بين الناس، وإنّما تساعده على تركيز عناصر الاختلاف والتنازع والاستغلال، بينما نجد العقل والفطرة يمثّلان عاملين يستطيعان قيادة البشرية لاستجماع ذاتها، ومن ثمّ الوصول إلى حقيقة مفادها أنّ العدالة الاجتماعية حلم بشري يمكن تطبيقها في أيّ مجتمع إذا كان هنالك قيادة حقيقية تستطيع المسير بالمجتمع نحو التكامل العقلي والتأصيل الفطري، وإلغاء جميع الدوافع الأنانية المقيتة المسبّبة لجميع المشاكل التي حلّت بالبشرية، وجعل البشرية تسير في مسلك واحد بالرغم من الاختلافات التكوينية والطبقية والمكانية وغيرها من مجالات التفاوت، فالناس كلّهم في التكوين من أصل واحد؛ لذا يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في الشعر المنسوب إليه:

أبوهُمُ آدمٌ والأمُّ حوّاءُ ... الناسُ من جهةِ التمثيلِ أكفاءُ
وأعظمٌ خُلِقَتْ فيهمْ وأعضاءُ ... نفسٌ كنفسٍ وأرواحٌ مشاكلةٌ
يفاخرونَ بِهِ فالطينُ والماء ... فإنْ يكنْ لهمْ مِنْ أصلِهِمْ حَسَبٌ

[القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 16، ص 342]

فكلّ التمايز بين الناس ما هو إلّا في الاعتبار وبعض العوارض الأخرى، فلا يمكن جعل هذه الأمور مجالًا للتفاضل. نعم، هنالك أمور حقيقية يمكن التفاضل بين الناس من خلالها، وضّحها الشارع وقَبِل بها المشرّع البشري كالعلم مثلًا، فإذا كان كذلك فتحقيق العدالة الاجتماعية أمر لا لبس فيه بين جميع أفراد المجتمع، خصوصًا في ظلّ حكومة قادرة على توحيد المجتمعات في دولة واحدة عادلة من جهة، وأن تبدأ بنشر العدالة الاجتماعية وتأسيس العدالة المجتمعية من جهة أخرى؛ ليصلح العالم وينتهي الظلم والشرّ وتتحقّق السعادة المنشودة للمجتمع البشري، في ظلّ دولة عالمية كبرى وصفها الفيلسوف الألماني هيجل (Higel) بقوله: «الدولة العالمية المنسجمة التي تنعدم فيها التناقضات الأيديولوجية وتطبيق حقوق الإنسان كأسمى صورة للدولة العالمية الإنسانية» [المحنّة، العولمة والجدل الدائر حولها، ص 7 – 9]. فحتّى في ضوء المنظور البشري الوضعي يمكن أن نؤسّس لعدالة اجتماعية تسع جميع البشرية في هذه الأرض ليتسنّى لنا تحويل هذه العدالة الاجتماعية إلى عدالة مجتمعية تكون منطلقًا لتأسيس الدولة العالمية العادلة المنشودة لكلّ البشر.

المبحث الخامس: المصلح العالمي حاجة إنسانية أم اعتقاد ديني؟

إنّ جميع الأمم في هذه الأرض تنتظر المخلص والمنقذ لها من براثن الظلم والاستعباد، ولكنّ كلّ أمّة تنتظره بحسب ما تراه فيه، فمنهم من ينتظره لأنّه حاجة ضرورية لا بدّ من وجودها في هذه الحياة التي تغصّ بالفساد والجور وعدم العدالة، ومنهم من ينتظره عقيدة مفروغ منها، أكّدها الدين في ضمن مقرّراته وأسّس لمعطياته ورسّخ مقوماتها في منهجه، فاتّباعها اتّباع للدين، والإيمان بها سلوك توحيدي من ضمن مقاربات السماء؛ ولهذا لا بدّ من البحث في أنّ المصلح والمخلّص العالمي أهو حاجة إنسانية أم اعتقاد ديني؟ فالكلام يقع في نقطتين:

أوّلًا: وجود المصلح حاجة إنسانية

يمثّل المصلح العالمي (المهديّ المنتظر) حلًّا لجميع المعاناة التي تمر بها الشعوب المحرومة، فهو الحلّ الإلهي لمشاكل جور الحكّام وتسلّطهم على رقاب البشرية، فكلّ ما يحصل من ظلامات مردّه إلى جور الحكّام وفسادهم؛ ولهذا يعدّ الهدف الرئيس لوجود المصلح العالمي (المهديّ المنتظر) هو رفع الظلم ونشر العدل والمساواة وتحقيق الأمن والسعادة لجميع الشعوب. إنّ العالم البشري اليوم يتخبّط في أزماته وحروبه ولم تستطع العولمة المطروحة ـ التي تسير في الاتّجاه المعاكس ـ تحقيق السعادة للبشرية، بل العكس، فقد ازدادت البشرية انتكاسةً عمومًا في ظلّ نظام العولمة؛ ولهذا أصبح الإصلاح حلمًا بشريًّا تحنّ جميع فئات المجتمع إلى تحقيقه، فقد نُقل عن المفكّر البريطاني راسل قوله: «إنّ العالم في انتظار مصلح يُوحّده تحت لواء واحد وشعار واحد» [الشهرستاني، المهديّ الموعود ودفع الشبهات عنه، ص 6].

فالمصلح سينهض لإصلاح العالم وإنهاء الظلم والشرّ وتحقيق السعادة المنشودة للمجتمع البشري، وتأسيس دولة عالمية كبرى، فالإصلاح الحقيقي يعدّ جزءًا مهمًّا من حاجة الناس وطبيعتهم، فمن غير الممكن لأيّ إنسان عاقل أن يستغني عن الإصلاح ومبادئه، فهو يعدّ من وسائل الحماية من مخاطر الحياة؛ إذ يمكن من خلاله تحقيق الهدف الأساس من الحياة الإنسانية، فباستطاعتنا أن نقيم نظامًا حياتيًّا متكاملًا يدعو إلى الفضيلة والرقيّ، وهو أيضًا يساعدنا في إقامة دستور يحفظ للإنسان إنسانيته، فالإصلاح المطروح اليوم ما هو إلّا تجنٍّ على البشرية، وليس له القدرة على مواكبة الحياة المطلوبة، فكلّ شيء لا يتلاءم مع ما تسعى له الناس في «الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب؛ لأنّها لا تلائمنا، فقد أنشئت دون أيّة معرفة بطبيعتنا الحقيقية؛ إذ إنّها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات

النـاس وأوهامهـم ونظرياتهـم ورغباتهـم، وعلى الرغـم مـن أنّهـا أنشـئت بمجهوداتنـا إلّا أنّهـا غـير صالحـة بالنسـبة لحجمنـا وشـكلنا» [أليكـس، الإنسـان ذلـك المجهـول، ص 37] ويقـول الدكتـور خورشـيد أحمـد: «البشريـة اليـوم بحاجـة الى حركـة واقعيـة شـمولية قـادرة على التغيـير الاجتمـاعي سـواء على مسـتوى الفـرد أو المجتمـع أو العالـم، وتتمثّـل الاسـتراتيجية الحقيقيـة في انطلاقهـا مـن خلـق وعي جديـد لدى الفـرد الذي يجاهـد في العمـل على إقامـة حيـاة عادلـة لا تقـوم على النظـرة النفعيـة أو السـعي وراء مصالـح فـرد أو جماعـة، بـل على فعـل مـا هـو حـق وعـدل» [خورشـيد، الإنسـان ومسـتقبل الحضـارة، ص 643]. إنّ وجـود المصلـح العالـمي الذي يقـود البشريـة نحـو النجـاة وتأسـيس مجتمـع بـشري يقـوم على الإصـلاح والعدالـة والحريـة ليـس مجـرّد خطـاب دينـي او شـعار اسـتهلاكي، بقـدر مـا هـو حقيقـة فطريـة تعيشـها البشريـة جمعـاء في أعمـاق عقولهـا ويستشـعرها الضمـير الإنسـاني، فيؤمـن بهـا كلّ إنسـان يعيـش مـرارة الألـم والعـذاب اليـومي؛ ولهـذا فـإنّ قسـاوة الظلـم لا يرتضيهـا أحـد؛ فـلا بـدّ مـن مـجيء ذلـك اليـوم الذي يتحقّـق فيـه حلـم الإنسـان ويسـتعيد بـه ذاتـه؛ ولذا يقـول لينـدسي: «إنّ الأمـر يبـدو وكأنّـه لا يصـدق! إنّ العقـل البـشري لا يسـتطيع أن يسـتوعب مثـل هـذه اللاإنسـانية مـن الانسـان للإنسـان، ومـع ذلـك فـإنّ الله يمكـن طبيعـة الانسـان مـن تحقيـق ذاتهـا في ذلـك اليـوم» [هالسـل، النبـوءة والسياسـة، ص 38] ؛ إذ «لـم يحـدث مـن قبـل في التاريـخ أن واجـه الجنـس البـشري هـذا الكـمّ الهائـل مـن التهديـدات والأخطـار، وبعـد أن قـذف بـه دون أن يكـون مسـتعدًّا في خضـمّ عالـم تلاشـت فيـه المسـافات، واختـصر فيـه الزمـان، وقـع الإنسـان في براثـن دوّامـة عالميـة مـن عوامـل غـير مترابطـة على مـا يبـدو، وتشـكّل أسـبابها ونتائجهـا تيهًـا لا سـبيل إلى الخـروج منـه في نهايـة هـذا القـرن، وليـس مـن مبالغـة إذا قلنـا إنّ البـنى والمؤسّسـات التقليديـة لـم تعـد قـادرةً على مواجهـة المشـكلات في بعدهـا الحـالي، وممّـا زاد الوضـع سـوءًا أنّ البـنى غـير الملائمـة الـتي عفـا عليهـا الزمـن محـاصرة بأزمـة خلقيـة حقيقيـةً، فهنالـك اختفـاء لنظـم القيـم وتسـاؤلات حـول التقاليـد، وانهيـار في المجـالات العقديـة، وغيـاب للرؤيـة العالميـة وحـدود الممارسـات الديمقراطيـة الراهنـة، وكلّهـا تؤكّـد على وجـود مشـاكل تقـف في وجـه المجتمعـات بالمرصـاد، ويشـعر الأفـراد بالعجـز وكأنّمـا أخـذ بخناقهـم ظهـور أخطـار لـم تعـرف مـن قبـل، وعجـز في الإجابـة عـن المشـكلات المعقّـدة الـتي تتعلّـق بجـذور الـشرّ وعواقبـه» [انظـر: كاميلـري، أزمـة الحضـارة.. آفـاق إنسـانية في عـالم متغـيّر، ص 617]. ومـن تحقّـق ذلـك اليـوم سـوف تتحقّـق مجموعـة مـن الأهـداف الـتي يحتاجهـا النـاس، وتطمـح إليهـا البشريـة منهـا:

1ـ الانتصـار المـدوّي لمبـادئ الحـقّ والعـدل والحرّيـة وكبـح جمـاح الظلـم والاسـتكبار والقضـاء على رموزهمـا.

2ـ البلـوغ الفكـري للبشريـة حـتّى تصـل إلى مراتـب النضـج والتكامـل؛ ليصبـح طريقًـا للإنسـان في المجـالات كافّـةً.

3ـ وضـع برنامـج مكثّـف لرفـع الموانـع مـن أجـل توحيـد العقيـدة والفكـر في جميـع أرجـاء المعمـورة.

4ـ قيـام الحكومـة العالميـة الموحّـدة القـادرة على إدارة أمـور النـاس جميعًـا، وبسـط الأمـن وإنهاء الحـروب والـنزاعات المختلفـة، وإلغـاء الحواجـز والحـدود بـين البلدان.

5ـ العمـل على وضـع مـشروع متكامـل لعمـران الأرض بمـا يتناسـب مـع حاجـة البـشر، بحيـث لا يبـقى شـخص في موضـع الحاجـة والفقـر.

ومـن هنـا يظهـر أنّ المصلـح العالـمي (المنتظـر الموعـود) هـو حاجـة إنسـانية يسـعى البـشر إلى تحقيقهـا على أرض الواقـع ليضمـن الإصـلاح المنشـود.

ثانيًا: وجود المصلح اعتقاد ديني

إنّ المصلـح وإن كان شـخصًا لكنّـه يمثّـل سـلوكًا،وإن كان فكـرةً لكنّـه يعـدّ منهجًـا وتطبيقًـا عمليًّـا تسـتبق إليـه النفـوس، ومعيـارًا حقيقيًّـا للحيـاة، خصوصًـا إذا اعتبرنـا أنّ الديـن والعقيـدة الإلهيـة الصحيحـة أساسًـا لأعمالنـا وأفكارنـا، فعندهـا سـنصل إلى هـذه النتيجـة، وهي أنّ الطريـق الوحيـد لانتصـار التوحيـد والديـن في العالـم هـو تأسـيس حكومـة دينيـة عالميـة واحـدة يكـون منهاجهـا الأسـاسي هـو سـيادة الديـن الإلـهي على جميـع أنحـاء الأرض، قـال تعـالى: ﴿**هُـوَ الَّذِي أَرْسَـلَ رَسُـولَهُ بِالْهُـدَى وَدِيـنِ الْحَـقِّ لِيُظْهِـرَهُ عَلَى الدِّيـنِ كُلِّـهِ وَلَـوْ كَـرِهَ الْمُشْرِكُـونَ**﴾ [سـورة التوبـة: 33]. وفي هـذه الحالـة سـينظّم الإنسـان نشـاطاته وبرامجـه الأساسـية على وفـق مقتضيـات المنهـج الديـني، وعلى خـلاف مـا كان يعتمـده في حياتـه الـتي نظّمهـا على أسـاس المناهـج الوضعيـة، فيتفاعـل مـع مسـألة المصلـح العالـمي (المهـديّ المنتظـر) مـن منطلـق الاعتقـاد الديـني؛ لأنّ «معالمهـا التفصيليـة الـتي حدّدهـا الإسـلام جـاءت أكـثر إشـباعًا لـكلّ الطموحـات الـتي انشـدّت إلى هـذه الفكـرة ... لأنّ الإسـلام حـوّل الفكـرة مـن غيـب إلى واقـع، ومـن مسـتقبل إلى حـاضر ... فلـم يعـد المهـديّ عليه السلام فكـرةً ننتظـر ولادتهـا، ونبـوءةً نتطلّـع إلى مصداقهـا، بـل واقعًـا قائمًـا ننتظـر فاعليتـه، وإنسـانًا معيّنًـا يعيـش بيننـا بلحمـه ودمـه، نـراه ويرانـا، ويعيـش آمالنـا وآلامنـا، ويشـاركنا أحزاننـا وأفراحنـا، ويشـهد كلّ مـا تزخـر بـه السـاحة على وجـه الأرض مـن عـذاب المعذّبـين وبـؤس البائسـين وظلـم الظالمـين، ويكتـوي بذلـك مـن قريـب أو بعيـد، وينتظـر بلهفـة اللحظـة الـتي

يتاح له فيها أن يمدّ يده إلى كلّ مظلوم وكلّ محروم وكلّ بائس، ويقطع دابر الظالمين ... ومن الواضح أنّ الفكرة بهذه المعالم الإسلامية تقرّب الهوّة الغيبية بين المظلومين كلّ المظلومين والمنقذ المنتظر، وتجعل الجسر بينهم وبينه في شعورهم النفسي قصيرًا مهما طال الانتظار، ونحن حينما يراد منّا أن نؤمن بفكرة المهديّ بوصفها تعبيرًا عن إنسان حيّ محدّد يعيش فعلًا كما نعيش، ويترقّب كما نترقّب، يراد الإيحاء إلينا بأنّ فكرة الرفض المطلق لكلّ ظلم وجور، التي يمثّلها المهديّ، تجسّدت فعلًا في القائد الرافض المنتظر، الذي سيظهر وليس في عنقه بيعة لظالم، وإنّ الإيمان به إيمان بهذا الرفض الحيّ القائم فعلًا ومواكبةٌ له» [الصدر، بحث حول المهديّ، ص 9 - 11]. ففكرة المصلح العالمي (المهديّ المنتظر) في الرسالة الإسلامية الخاتمة تعدّ من أساسيات الخطّ الرسالي للشريعة الخاتمة، فرحيل الرسول الأكرم ﷺ من هذه الدنيا مع عدم تحقّق الهدف الأسمى للرسالة المحمّدية ـ وهو استيعاب الإسلام لعموم بلدان الأرض، مع وجود الوعد المقطوع به في إظهاره على جميع الأديان ـ جعل تحقّقه منوطًا بظهور المهديّ الموعود الذي بشّر به النبيّ الأكرم ﷺ وأهل بيته الكرام عليهم السلام، فجميع الفرق الإسلامية اتّفقت كلمتها على حتمية ظهور المهديّ المنتظر، وأنّه سيقيم دولة العدل المنشودة في عموم الأرض، وسيجعل البشرية جمعاء تدين بالدين الإسلامي، وسيتوحّد على يديه المشرق والمغرب، وستكون جميع البلدان تحت رايته، وأنّ دولة الحقّ الإلهي بقيادته سوف تتحقّق في الخارج، وتظهر للعيان بعد أن تعيش البشرية مرحلة اليأس والقنوط من جميع الحكومات المستبدّة، وضعف القوانين الوضعية التي لم تحقّق للناس إلّا الشقاء والألم، عند ذلك يبدأ الناس يلهجون بذكر المخلّص المنتظر؛ من أجل إنقاذ العالم وتوحيد المجتمع البشري، ويندفعون للإيمان به، والدخول تحت قيادته؛ لتنطلق البشرية من فكرة المهديّ المنتظر إلى العمل على وحدتها وتقاربها وتكاملها تحت راية الإيمان بوجود المنقذ الموعود، والوصول معه إلى مقوّمات التوحيد النابعة من فكر الإنسان وسلوكه في كلّ أرجاء الأرض. وبهذا يصبح الإيمان بالمصلح العالمي معتقدًا تتّخذه البشرية جمعاء؛ لأنّه العقيدة الوحيدة التي تحقّق جميع أمنيات الخلق بلا استثناء. وممّا تقدّم يظهر أنّ المصلح العالمي (المهدي الموعود) هو حاجة إنسانية تسعى البشرية جمعاء إلى طلبه، واعتقاد ديني تؤمن به الناس ولا بدّ من تحقّقه.

الخاتمة

1ـ أنّ المصلح العالمي هو مصلح ملكوتي، وهو إنسان حيٌّ ذو بنية جسدية صحيحة وطاقة عقلية خارقة، يبعثه الله من أهل بيت خاتم الأنبياء والرسل، يؤيّد به الدين ويظهر به العدل.

2ـ أنّ نفوس البشر تبقى بحاجة إلى عاملين أساسيين هما: العقيدة التي يتحرّك الإنسان في ضوئها، والإصلاح المنبثق من الأيديولوجيا الصحيحة التي يتحرّك في ضمن نطاقها.

3ـ من المعلوم أنّ المصلح العالمي هو حقيقة تبنّتها الشرائع السماوية والأديان الوضعية، ولم يكن خيالًا ووهمًا كما يدّعيه بعضهم.

4ـ أنّ الإصلاح الحقيقي جزء مهمّ من حاجة الإنسان وطبيعته؛ إذ لا يمكن لأيّ إنسان عاقل أن يستغني عنه.

5ـ هنالك الكثير من العلل والأسباب التي تؤكّد وجود المصلح العالمي، فمن أهمّها أنّه يحقّق حلم الأنبياء في إقامة دولة الحقّ والعدل.

6ـ أنّ ادّعاء كلّ ديانة سماوية كانت أم أرضية بأنّ المصلح العالمي الموعود منها دليل على وجوده من جهة، وعلى أهمّية الاعتقاد به من جهة أخرى.

7ـ أجمعت كلّ المذاهب الإسلامية على أنّ المصلح العالمي هو "المهديّ المنتظر" الموعود الذي بشّر به خاتم الأنبياء ﷺ.

8ـ هنالك الكثير من الفوائد من وجود "المهدي المصلح العالمي" تعود بعضها في النفع للمصلح العالمي نفسه وأخرى يرجع نفعها الى الناس.

9ـ قامت الأدلة الكثيرة في جميع الأديان والطوائف السماوية على وجود المصلح العالمي ولكن كل جماعة تنسبه الى نفسها.

10ـ أنّ نفسية الجماهير تتوق إلى إقامة العدل ونشره في ربوع هذه الأرض؛ لينعم الناس بالعدالة الاجتماعية وليتسنّى لهم إيجاد العدالة المجتمعية.

11ـ من الممكن القول إنّ المصلح العالمي والمنقذ الموعود هو حاجة إنسانية ومطلب بشري يسعى الناس إلى تحقيقه من جهة، وهو كذلك اعتقاد ديني يدفع كلّ إنسان إلى الإيمان به.

قائمة المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة

العهد القديم (التوراة)

العهد الجديد (الإنجيل)

آل ياسين، محمد حسن، المهديّ المنتظر بين التصوّر والتصديق، الناشر: المكتبة العالمية، بيروت، ط 3، 1398 هـ ـ 1978 م.

أليكس، كاريل، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة: شفيق أسعد فريد، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت، ط 3، 1980 م.

ابن الأثير، المبارك بن محمّد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ط 4، 1364 ش.

ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة، تحقيق: سامي الغريري، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، قمّ، ط 1، 1422 هـ.

ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تحقيق: عبدالرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، سنة 1997 م.

ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، الناشر، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1408 هـ ـ 1988 م.

ابن زكريّا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الإعلام الإسلامي، قمّ، 1404 هـ.

ابن سليمان الحلي، حسن، مختصر بصائر الدرجات، الناشر: منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، الطبعة الأولى، 1370 هـ ـ 1950 م.

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الناشر: نشر أدب الحوزة، قمّ، 1405 هـ.

البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1401 هـ ـ 1981 م.

البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن، تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث)، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، 1370 هـ.

البستوي، عبد العليم، المهديّ المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة، الناشر: المكتبة المكّية، مكّة المكرّمة، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1420هـ ـ 1999م.

الحميري اليمني، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري ـ مطهر بن علي الإرياني ـ د. يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1420 هـ ـ 1999 م.

الخطيب، عبد الكريم، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، الناشر: دار الكتب الحديثة، ط 1، 1385 هـ ـ 1966 م.

الخليل الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي ـ الدكتور إبراهيم السامرائي، الناشر: مؤسّسة دار الهجرة، قمّ، ط 2، 1409 هـ.

الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1407 هـ ـ 1987 م.

الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1414 هـ ـ 1994 م.

الزمخشري، محمود بن عمرو، الفائق في غريب الحديث والأثر، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1417 هـ ـ 1996 م.

سبحاني، جعفر، العقيدة الإسلامية في ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، نقله إلى العربية: جعفر الهادي، الناشر: مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، قمّ، الطبعة الأولى، 1419 هـ ـ 1998 م.

الشهرستاني، عبد الرضا، المهديّ الموعود ودفع الشبهات عنه، الناشر: مطبعة خرسان، مشهد، ط 1، 1398 هـ.

الصالحي الشامي، محمّد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1414 هـ ـ 1993 م.

الصدر، محمدباقر، بحث حول المهديّ، الناشر : دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1397 هـ ـ 1977 م.

الصدوق، محمد بن عليّ، الأمالي، نشر وتحقيق: مؤسّسة البعثة، قمّ، ط 1، 1417 هـ.

الصدوق، محمّد بن عليّ، علل الشرائع، تقديم: محمّدصادق بحر العلوم، الناشر: المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف، 1385 هـ ـ 1966 م.

الصدوق، محمّد بن عليّ، كمال الدين، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قمّ، 1405 هـ ـ 1363 ش.

الطبسي، محمدجواد، الإمام المهديّ المصلح العالمي المنتظر، الناشر: دار الهدى، قمّ، ط 1، 1426 هـ ـ 1384 ش.

الطعان، عبد الرضا حسين وعلي عباس مراد وعامر حسن فياض، موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، الناشر: دار الروافد الثقافية، بيروت، ط 1، 2015 م.

الطوسي، محمد بن الحسن، الاقتصاد، الناشر: منشورات مكتبة جامع چهل ستون، طهران، سنة 1400 هـ.

الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قمّ، ط 1، 1409 هـ.

الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، تحقيق وتعليق: حسن الموسوي الخرسان، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، 1364 ش.

القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن،تصحيح: أحمد بن عبد العليم، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ط 5، 1363 ش.

المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار، الناشر: مؤسّسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية المصحّحة.

المحنة، فلاح كاظم، العولمة والجدل الدائر حولها، الناشر: مؤسّسة الورّاق للنشر والتوزيع، عمّان، 2002 م.

المرعشي النجفي، شهاب الدين، شرح إحقاق الحقّ، الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم.

المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قمّ، الناشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة الأولى، 1413 هـ.

الميداني، عبد الرحمن، الأخلاق الإسلامية وأسسها، الناشر: دار القلم، دمشق، ط 3، 1992 م.

النصيري، كاظم، أهل البيت في الكتاب المقدّس، ط 1، سنة 1997 م.

جريدة الأنباء، العدد 40، السنة الأولى، 27 آذار، 1965 م.

هالسل، جريس، النبوءة والسياسة، ترجمة محمد السماك، الناشر: دار الشروق، القاهرة، ط 2، 1424 هـ.

خورشيد أحمد، الإنسان ومستقبل الحضارة، الناشر: المؤتمر التاسع لمؤسسة آل البيت، عمّان، 1994 م.

سعيد، حبيب، أديان العالم، الناشر: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة.

سليمان مظهر، قصّة الديانات، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995 م.

شبل، فؤاد محمد، دور مصر في تكوين الحضارة، الناشر: الهيئة المصرية العامّة للتأليف والنشر، القاهرة، 1971 م.

طه باقر، مقدّمة في تاريخ الحضارات القديمة، القسم الأوّل: تاريخ العراق القديم، الناشر: دار المعلّمين العالية، بغداد، ط 2، 1955 م.

غالب، مصطفى، الإمامة وقائم القيامة، الناشر: مكتبة الهلال، بيروت، 1981 م.

لوبون، غوستاف، سيكولوجية الجماهير، ترجمة هاشم صالح، الناشر: دار الساقي، بيروت، ط 1، 1991 م.

قيدارة، الأسعد بن علي، النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، قمّ، 1433 هـ.

كاميلري، جوزيف، أزمة الحضارة.. آفاق إنسانية في عالم متغيّر، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1983 م.

مكارم الشيرازي، ناصر، الحكومة العالمية للإمام المهديّ، الناشر: دار المودّة للطباعة والنشر، بيروت، 1439 هـ ـ 2018 م.

Minderop, Albertine, Psikologi Sastra, Yayasan Pustaka Obor Indonesia, Jakarta, 2013